حبيبي

1206
١٢٠٦

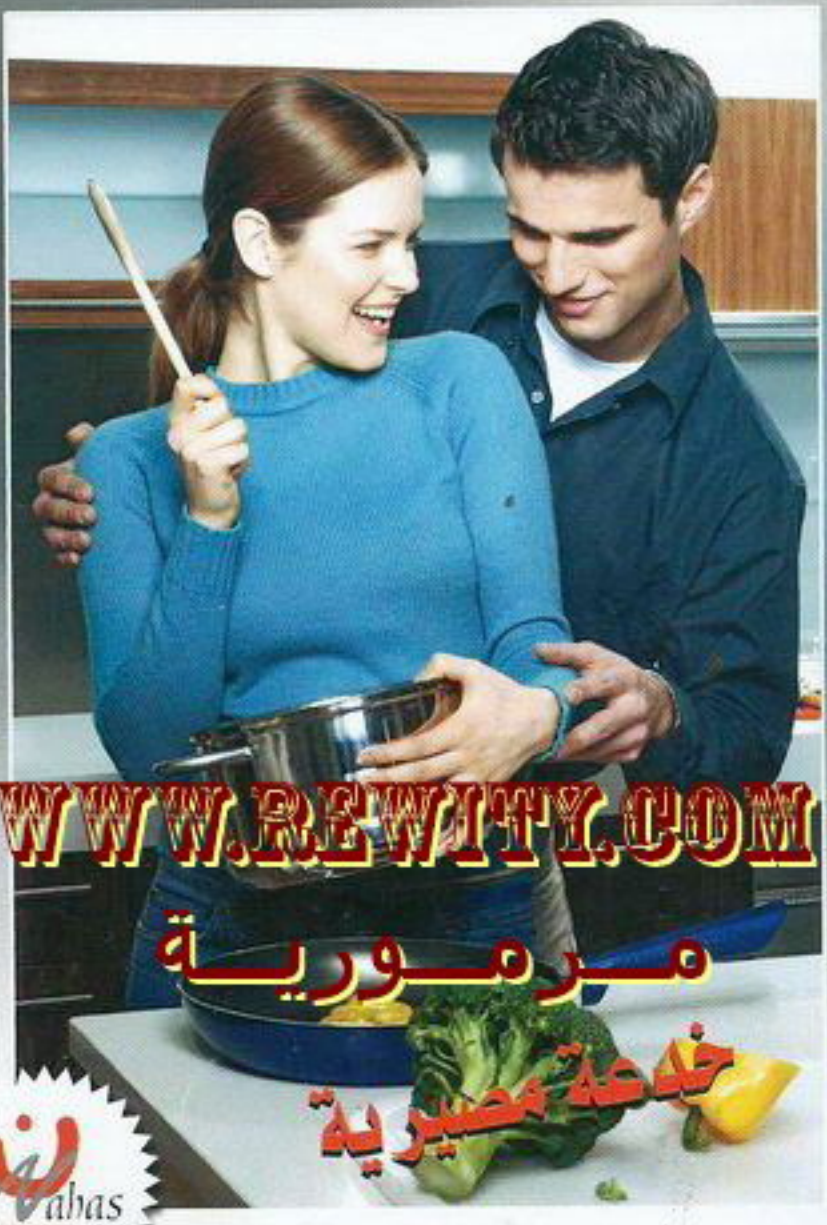

WWW.REWITY.COM

مرموزة

خدعة مصيرية

صادر عن دار م. النحاس

خدعة مصيرية

قرأت ليندا اعلان عمل في الجريدة يطلبون فيه آنسة للزواج بمواصفات مميزة. فتقدمت اليها علها تجد ملاذاً مناسباً لها ولشقيقتها الصغيرة. فدخلت الى عالم المال والسلطة وتزوجت من الحفيد المغرور الذي يحب السيطرة على كل من حوله. لكن مع مرور الوقت وبعد فشلها بعدة محاولات للهرب من هذا الزواج، وقعت في حبه ولم تعد تريد الافتراق عن زوجها.

52-87000-34707-5

خدعة مصيرية

انها الآن في بيتها وعيناها مسمرتان في الاعلان وشعرت بالاشمئزاز لتذكرها ذلك الحوار الذي جرى ظهر اليوم في مكتب عملها. وفجأة، نسيت كل شيء اذ بدأت ويندي بالبكاء. اسرعت ليندا نحو سرير الطفلة لتؤانسها بسرعة لئلا يعلو صراخها وتزعج الجيران. كانت أسنانها تبدأ بالبروز ولا شيء يسكن آلامها خصوصا في الليل.

الفصل الاول

بيدين مرتجفتين فتحت ليندا صفحة الاعلانات في صحيفة واسعة الانتشار وراحت تبحث عن الاعلان الذي اثار مناقشات حماسية في المكتب حيث تعمل.

كان ذلك اثناء فترة الغداء. واذا بعينيها تحدقان باعلان كتب بالحروف السوداء العريضة.

وتذكرت المشهد حين صرخت جوي، صغيرة الموظفات عندما قاطعت الحديث وقالت والدهشة تملأ وجهها:

«آه! شيء لا يصدق! انظروا الى هذا الاعلان، هنا فوق، في اعلى الصفحة.»

انزعجت يولاند كيرز من هذا التصرف الوقح وهزت كتفيها وقالت بلهجة لاذعة وناعمة:

«هل يجب عليك ان تقاطعينا كلما قرأت اعلاناً عن حفلة موسيقية صاخبة؟»

اجابت حينذاك جوي قائلة:

«تبا لموسيقى البوب الصاخبة! على كل حال، لا يمكنك ان ترشحي نفسك، فالمطلوب فتاة شقراء ذات عينين زرقاوتين.»

سألت يولاند ببرود:

«ترشيح نفسي؟ ولأي سبب؟»
اطلقت جوي زفرة انزعاج وقالت:
«لهذه الوظيفة! لكن مهما كان الامر فالوظيفة لا تناسبك.»
وبفضول قوي اقتربت بقية الفتيات واعلنّ معاً:
«ما القضية؟»
ناولتهن جوي الجريدة وقرأت احداهن بصوت ساخر وببطء الاعلان الذي يقول:
«عرض عمل لفتاة إنكليزية، شقراء وحسب، وظيفة تؤمن لها استقراراً مادياً طيلة حياتها. يجب ان تكون حافظة سر ومطيعة ووديعة، تقبل الطلبات لمن تبدي استعدادها لتحمل اعباء الاسرة. ولأخذ موعد، الاتصال برقم الهاتف اعلاه.»
بعد الدهشة، دوت قهقهة عامة داخل المكتب.
واكدت احدى الفتيات قائلة:
«في ايامنا هذه، هذا النوع من الاعلان لا يمكنه ان يخدع اي فتاة مهما كانت. لا شك ان صاحب الاعلان فقد عقله.»
قالت يولاند:
«هذا رأيي، أنا ايضاً. ربما يعتقد انه بامكانه شراء كل ما يريده بالمال. ربما كان صاحب الاعلان مهووساً يبحث عن فتاة شقراء ليجدد حياته.»

اجابت فتاة اخرى:«لا، انها مزحة، حتى المهووس لا يمكنه إن يجهل ان نساء اليوم لسن ساذجات خصوصاً في لندن.»
الضحك يعلو من جميع الاطراف. وجوي الحالمة كانت تحدق بليندا بامعان ثم قالت:
«لا اعرف. ربما ليندا تتمتع بهذه المواصفات.»
كانت ليندا مسترسلة في افكارها، فلم تلتقط من الحديث الجاري سوى القليل. فاهتمامها من نوع آخر، اذ كانت تتساءل بقلق كيف ستتمكن من دفع المصاريف الباهظة التي تفرضها عليها دار الحضانة حيث وضعت اختها الصغيرة ويندي.
وكانت مديرة دار الحضانة قد اعلنت لليندا صباح اليوم قائلة:
«اني آسفة حقا يا آنسة باين. نحن مضطرون ان نزيد عليك جنيها استرلينيا واحد كل اسبوع، وذلك ابتداء من الاسبوع المقبل. انت تعرفين ان الاسعار ترتفع في جميع الميادين. انه التضخم المالي. هذا يؤسفني لكنه اصبح لا بد منه.»
وخلال يوم بكامله كانت ليندا تطرح على نفسها الاسئلة المختلفة.
اين ستجد هذا المبلغ الاضافي؟ الم يسبق ان خفضت مصاريفها الى أدنى درجة خصوصاً في ما يتعلق بالغذاء؟ كانت تبدو سريعة العطب من

شدة نحول جسمها، وكانت تتلقى الانتقادات بهذا الشأن من معظم العاملين معها.

فجأة تنبهت ليندا الى ما يدور حولها، فقد ران الصمت بعد ملاحظة جوي. وشعرت بثقل النظرات الموجهة اليها، اذ يبدو انهن ينتظرون ردها.

«ماذا؟ عما تتكلمن؟ المعذرة، فلم اكن اصغي.»

«لم يرد احد، باستثناء يولاند التي هزت كتفيها واكتفت بالتذكير قائلة:

«ربما انت على حق، يا جوي. قيل لي، انه في الاسبوع الماضي، لبت ليندا دعوة هذا الرجل الجذاب الذي يدعى جايسون.»

احمر خدا الفتاة واعلنت بصوت يرتجف غضباً:

«ولم لا؟ لقد امضيت برفقته سهرة ممتعة، وبرهن السيد جايسون عن لطف كبير في ان يدعوني الى منزله.»

قالت لورا باستغراب:

«تسمين ذلك لطفا! كانت تجول في رأسه افكار مختلفة. لا اعرف كيف تصرفت معه، لكن بالنسبة اليه، كان لقاؤكما خيبة واخفاقا تامين، حتى انه صرح في اليوم التالي انه للمرة الاولى في حياته يحتار في معاملة امرأة من هذا النوع المتحفظ.»

احست ليندا بقنوط وجرح شعورها لسماع ضحكات زميلاتها في المكتب، ضحكات ساخرة،

هازئة. ولما بدأت الفتيات بالاستعداد لممارسة عملهن من جديد بعد استراحة فترة الغداء، اقتربت منها اكبرهن سنا وقالت:

«لا تتوتري لهذه الامور التافهة. ربما انك ما تزالين ساذجة، لكن هذه البراءة التي تتحلين بها هي مصدر قوتك.»

انها الآن في بيتها وعيناها مسمرتان في الاعلان وشعرت بالاشمئزاز لتذكرها ذلك الحوار الذي جرى ظهر اليوم في مكتب عملها. وفجأة، نسيت كل شيء اذ بدأت ويندي بالبكاء. اسرعت ليندا نحو سرير الطفلة لتؤانسها بسرعة لئلا يعلو صراخها وتزعج الجيران. كانت اسنانها تبدأ بالبروز ولا شيء يسكن آلامها خصوصا في الليل.

حملت الطفلة وراحت تذرع الغرفة ذهابا وايابا، تؤرجحها وتتحدث اليها وشوشة. ولحسن الحظ خفتت حدة صراخها وتدريجيا هدأت الطفلة، غير ان ليندا استمرت في المشي لكن ببطء خشية ان تعود الفتاة الى الصراخ وتقلق راحة الجيران.

وراحت افكارها تأخذها بعيدا، الى الوراء الى قبل سنة، الفترة السعيدة حيث كان مستقبلها يبشرها بشتى الاحلام الجميلة. ولم يبق من هذه السعادة الماضية الا ذكرى بعيدة.

وراحت تتخيل تلك الليلة عندما جاءت والدتها في المساء لتخبرها بقليل من الانزعاج والخجل:
«ليندا، والدك وانا لدينا خبر سعيد نريد ان نزفه اليك.»
«وما هو؟»
وكانت ليندا في هذه اللحظة تتصفح الاعلان في احدى الصحف المحلية، بعدان نالت شهادة السكريتاريا بتفوق. فقالت لها والدتها:
«ضعي هذه الصحيفة جانبا، يا صبيتي، واصغي اليّ بانتباه.»
رفعت ليندا عينيها ولاحظت ملامح والدها المنفعلة، فوضعت الصحيفة جانبا وسمعت والدتها تقول لها:
«لدى والدك شيء مهم يريد ان يفصح لك به.»
قال الوالد للوالدة:«لا، قوليه انت.»
«لا، انت.»
نهضت ليندا من مقعدها وقالت باستغراب:
«آه، هيا! عليكما ان تقررا من منكما سيعلن النبأ، او ربما بالاحرى يمكنكما ان تعلناه معا.»
وهذا ما فعلاه. اعلنا بصوت واحد، مليء بالفخر.
«اننا ننتظر مولوداً سعيداً.»
وفي ذهول حقيقي، حدقت ليندا فترة طويلة في

والديها، كأنهما آتيان من كوكب آخر. كانت عائلتها الصغيرة المؤلفة من ثلاثة اشخاص على قدر واسع من الانسجام والاتحاد، وظلت على ما هي مدة 19 سنة وهي الآن مندهشة اذ تراها تتسع لمخلوق جديد آخر. لكنها سرعان ما ندمت على انفعالها الاناني لمجرد رؤية خيبة الامل ترتسم على وجهي والديها فأسرعت بالقول لتطمئنهما قائلة:
«هذا خبر رائع! حلمت مرارا ان يصبح لي اخ او اخت.»
تنفست والدتها الصعداء واطلقت زفرة بكاء وفرح.
فأمسك والدها بكتفي زوجته وضمها اليه بحنان وقال:
«ألم اقل لك انها ستسعد للخبر.»
غير ان هذا الفرح بدأ يتخلله بعض القلق، في الاشهر اللاحقة. واصبحت والدتها تزور الطبيب مرات عديدة كلما اقترب موعد الانجاب. حتى افصح الطبيب مؤخرا عن تخوفه من خطورة الوضع.
ولما حان موعد الانجاب، انتظرت ليندا مع والدها في قاعة الانتظار في المستشفى ساعات طويلة. اخيرا جاء الطبيب عابس الوجه واعلن الخبر الرهيب.

www.rewity.com

«اني آسف، يا سيد باين ويا آنسة ليندا، لقد بذلنا جهدنا... لكننا تمكنا من انقاذ الطفل.»

«لن تنسى ليندا ابدا تعبير وجه والدها الكئيب الذي ارتسم في نفس اللحظة وظل اسابيع طويلة بعد وفاة زوجته في حال تشبه الخمول، يرد بالرغم منه على اسئلتها. وبعد فترة غير بعيدة جاء شرطي ليعلمها بأن والدها قتل في حادث سيارة.

لم تسنح لها الفرصة للحسرة والحداد اذ ان ويندي الصغيرة كانت بحاجة الى عناية واهتمام في كل لحظة.

وبدأت المشاكل تنهمر عليها. فاضطرت الى ان تبيع المنزل ومحطة الوقود حيث عمل والدها سنوات عديدة، لتفي الديون والرهونات الكثيرة، ولم يبق معها الا المال الكافي لتسديد المصاريف الضرورية، الى ان وجدت غرفة صغيرة استأجرتها ودار حضانة لويندي قرب مركز عملها، وهذا لم يكن باختيارها بل اضطرت الى قبوله، لأن الحاجة المادية بدأت تهدد استقرارها.

وضعت ليندا ويندي في سريرها. ثم جلست على الكرسي امام الطاولة وراحت تقوم بحسابات المصاريف المتوجبة عليها.

وخرجت بنتيجة صعبة، اذ عليها ان تخفف

مصاريفها الى ادنى درجة لتتمكن من دفع اجرة دار الحضانة.

منذ الآن لن تذهب عند المزين، ولن تستعمل ادوات الزينة وستصلح احذيتها قدر امكانها حتى لا تحتاج الى شراء حذاء جديد. ولحسن حظها، فشعرها الاشقر الطويل مجعد بشكل طبيعي وليس بحاجة الى شامبو خاص به.

لكن لا يمكنها ان تحرم نفسها من الحساء وسندويش الغداء، وإلا لما تمكنت من التركيز. ورغم ذلك يشكو مديرها من النسيان الذي اصابها اخيرا وهي تعرف ان ذلك عائد الى نوع غذائها البسيط.

وجهت نظرها باتجاه ويندي. وبفخر راحت تتأمل فرحة، خديها البارزين الحمراوين وجسمها الممتلئ وتبتسم.

فجأة عبست لدى سماعها صراخ الطفلة المتألمة. وبعد بضع لحظات دوى صراخها في ارجاء الغرفة.

«آه، لا! عادت الى الصراخ من جديد!»

تناولت ليندا اختها بين ذراعيها لكن الطفلة لم تتوقف عن البكاء. ولم تكف عن الصراخ الا بعد ربع ساعة، وكانت تهم بوضع الطفلة في السرير من جديد حينما سمعت طرقا على الباب، فتحت

www.rewity.com

ليندا الباب وامام العتبة وقفت صاحبة المنزل غاضبة.

تلعثمت ليندا وقالت في حيرة وارتباك:

«انا متأسفة يا سيدة كولينز.»

اعلنت صاحبة المنزل بصوت قاطع:

«انا كذلك، يا آنسة باين. عليك ان تغادري هذه الغرفة خلال اسبوع من الآن. لقد تحملت الكثير، لكن الامر لم يعد يطاق ولا يمكنه الاستمرار. جارك ينزعج من بكاء الطفلة المستمر ويهدد بالذهاب. انا آسفة، صدقيني، لكن سأضع هذه الغرفة برسم الايجار ابتداء من نهار السبت المقبل.»

ادارت ظهرها وولت تاركة ليندا من دون ان تضيف كلمة. اغلقت الباب بهدوء. الآن ويندي نائمة بسلام.

نظرت ليندا بإمعان وحنان الى وجه اختها البريء فاغرورقت عيناها بالدموع واسرعت تضعها في السرير. ثم جلست الى طاولتها وخبأت وجهها بين ذراعيها وراحت تبكي، تاركة العنان لحزنها. لقد صبرت كثيراً خلال هذه السنة الاخيرة وبات حزنها كبيراً. ان اندفاعها يتفتت واعصابها تنهار. فحتى الآن جابهت الامور بشجاعة، لكنها اليوم تبوح بفشلها.

في احد الايام، اقترحت عليها يولاند ان تضع الطفلة في دار الايتام. لكن تلك الفكرة كانت ترعبها. اما الآن فلا بد لها من الرضوخ للأمر الواقع فهي ترى ان هذه الفكرة هي الحل الاخير لمشاكلها.

وببطء رفعت رأسها وراحت تنظر في ارجاء الغرفة ذات الاثاث الحقير. بساط بال ومقاعد مهترئة وسرير ومغسلة وغاز صغير. لكن بالرغم من مأساتها كانت تمثل هذه الغرفة كل استقرارها، اذ كانت تؤويها هي ووينديي... ويندي لا يمكنها ان تقتنع بضرورة التخلي عنها انه اسوأ الحلول. ورفضت هذه الفكرة بقوة اليأس.

كانت الصحيفة موضوعة على الطاولة فتناولتها ليندا وراحت تتصفحها بعين يائسة. ومرة اخرى وقع نظرها على ذلك الاعلان الغامض. فجأة توقفت على جملة تحتوي كلمات مصيرية:

«تقبل الطلبات للواتي يتحملن اعباء الاسرة.»

وبعنف امسكت الصحيفة وهبطت السلالم بسرعة وتوجهت الى حيث الهاتف.

بيدين مرتجفتين اضطرت ان تدير الرقم ثلاث مرات قبل ان تنجح. وبصوت عديم الثقة طلبت موعداً فاعطاها المتكلم عنواناً قبل ان يقفل الخط بقوة.

www.rewity.com

ظلت مسمرة النظر في الاعلان حيث كتبتٍ مسرعة: الموعد: السبت الثانية والنصف ظهرا في فندق امبريال غرفة 1005
كان ذلك نهار الغد.

الفصل الثاني

لم تشعر بأي حيرة لاختيار ملابسها لأنها ارتدت المجموعة الانيقة الوحيدة التي تملكها. انها كناية عن تنورة وسترة، ذات لون بني غامق، يناقض بشرتها الفاتحة ولون شعرها الطويل الذهبي الذي ينسدل إمواجا على كتفيها. وارتدت تحت السترة قميصا من اللون الكريمي. غير انها قطبت حاجبيها عندما نظرت في المرآة. لا شيء في هذه البزة الكلاسيكية يلفت الانظار. واذا صدق ما قالته زميلاتها من ان صاحب الاعلان ليس سوى ثري مضجر، سيكون حظها قد خانها.
«اللواتي يتحملن اعباء الاسرة.» رددت هذه الكلمات في فكرها. اذا كان الرجل الذي ستلتقي به يفي بوعده واذا حصلت على هذه الوظيفة الغامضة، ستضمن مستقبل الطفلة. القت ليندا نظرة الى ساعتها. لم يبق لها سوى عشرين دقيقة للوصول الى الفندق. ستصل سيارة التاكسي في أي لحظة الآن. وبعدما نظرت مرة اخرى الى المرآة، حملت حقيبة يدها وعلقتها بكتفها وهبطت السلالم.
أوقفها التاكسي امام باب فندق امبريال الرئيسي.

WWW.REWITY.COM

وكانت مبكرة فتوجهت الى مكتب الاستقبال بأنفاس متقطعة من شدة الانفعال. طلبت ان يصار الى اعلام صاحب الغرفة رقم 1005 بحضورها. كان الموظف يراقبها خلسة. فجأة اشتعل وجهها احمرارا، لانها انتبهت انه لا شك بأن موظفي الفندق على علم بسبب وجودها هنا. وخلال بضع دقائق بدت لها طويلة، جاء صبي الفندق وطلب منها ان تتبعه. شعرت بقدميها ترتخيان فجأة، لكنها تمكنت من عبور البهو المفروش ارضه ببساط واسع مزين بألوان ورسوم فنية. ولما انفتح باب المصعد من دون احداث ضجة، خيل اليها انها تغادر العالم المتزن الواضح، لتدخل عالما آخر، غريبا ومروعا.

أنها تنتمي الى عالم حيث لا يمكن لأي انسان ان يخطر في باله شراء انسان حي، حسب ما يمكن للاعلان أن يفصح عنه. فهناك وعد بالاستقرار «طيلة حياتها» وبالتالي فهي اسيرة سجن ذهبي.

لكن ماذا سيحصل في مقابل ذلك؟

الغم يضغط على حنجرتها وهي تحاول جاهدة ان تنطق من دون جدوى. الطريق تمر امامها وهي عاجزة ان تطلب من صبي الفندق ان يعيدها الى المدخل.

توقف المصعد وخرج الصبي امامها. تبعته

وقدماها تدوسان البساط الازرق السميك بينما كانا يتوجهان نحو الغرفة المصيرية. اخيرا توقفا امام غرفة كتب على بابها رقم 1005 .

تلعثمت وهي تفتش في حقيبتها عن بعض المال:

«شكرا.»

لكن صبي الفندق رفض الاكرامية وعاد ادراجه نحو المصعد بعد ان رمقها بنظرة ازدراء. قربت ليندا يدها لتطرق الباب، ثم عدلت في اللحظة الاخيرة. وفجأة تذكرت حكايات تجارة الرقيق الابيض التي تداولتها رفيقاتها في العمل. قصص الفتيات اللواتي يلبين مثل هذه الاعلانات ومصيرهن الاسود. همست لنفسها وهي تهز قدميها اضطرابا:

«ليندا لاين، انت حقاً مجنونة! لماذا تجازفين بنفسك؟ لا شك ان هناك وسائل اخرى للخروج من وضعك المالي الصعب في ايامنا هذه، من المستحيل ان يسمح للناس ان تعيش من دون سقف. فالمساعدة الاجتماعية موجودة حقا غير انها استاءت لفكرة وضع ويندي في دور الايتام، وبعد تردد طرقت الباب. وفي الحال فتح الخادم ودعاها الى الدخول بلياقة كبيرة.

كانت الغرفة واسعة واثاثها فاخراً. فعادت انفاسها تتوتر هناك. مقاعد مريحة وطاولة

مستديرة موضوعة فوق بساط ابيض سميك. ولوحات ونحوت ومرايا ذات اطارات مذهبة وكلها تزين الجدران المغلفة بالقماش الازرق الفاتح. وبالرغم من الشمس التي تخترق اشعتها الزجاج الواسع، اكتشفت ليندا بدهشة وجود مدفأة يشتعل داخلها الحطب الكبير.

اقتربت بخطى مترددة وتوقفت امام احد المقاعد بينما توارى الخادم عن الانظار. تقلصت ليندا لا تعرف بماذا تفكر. لكنها شعرت بالارتياح وهي ترى رجلا عجوزاً يدخل الغرفة ويقول:

«آنسة باين؟»

كان صوته رناناً مع لكنة خفيفة. في بادىء الامر، اعتقدت انه فرنسي الجنسية، لكنها غيرت رأيها عندما سمعته يسأل بتهذيب رفيع وعزة نفس ويقول:

«هل تتفضل الآنسة بالجلوس؟»

جلست ليندا في المقعد وراحت تجوب بنظرها وجه هذا العجوز وملامحه النبيلة والرفيعة: عيناه ثاقبتان. وتمكنت ليندا من ان تقرأ فيهما قليلاً من الاستغراب، غير ان فمه يعبر عن عطف وتسامح. وفكرت بأن شعره الابيض لا شك انه كان في الماضي اسود كاملا. غير انه ما زال يحافظ على قامته الطويلة ورشاقة رجل شاب.

انتظرت ليندا منه ان يتابع كلامه. وبدأ غمها وتخوفها وقلقها بالانحسار رويدا رويدا عندما لاحظت انه يبحث عن الكلمات المناسبة. ومن دون اي شك هذه خبرة جديدة على هذا الرجل النبيل الواثق من نفسه. وكي تشجعه ابتسمت له فأسرع بالقول:

«قبل كل شيء، يا آنسة، اسمحي لي بان اقدم نفسي،انا الكونت ادريانو دي فالريفيا. وانت تدعين ليندا. اليس كذلك؟»

قالت بصوت غير واثق:

«نعم، حضرة الكونت.»

قام بحركة سلبية وقال:

«يكفي ان تناديني، دون ادريانو، يا عزيزتي. فأنا انما افصحت عن لقبي، في حال اردت ان تستعملي عني.»

قالت بعصبية خفيفة:

«شكرا، دون ادريانو. لكن لن اجروء ابداً ان اقوم بشيء كهذا.»

قال رافعا حاجبيه:

«ولم لا، انت لا تعرفين شيئاً عني، الا اني ابحث عن فتاة انكليزية شقراء. وقد كتبت الاعلان بكلمات تدعو الى الغموض والالتباس، الا تعترفين بذلك.»

www.rewity.com

وافقت ليندا بإيماءة من رأسها وخاطرت تقول:
«بالمناسبة، احب ان اطرح عليك بعض الاسئلة.»
«سأرد عليها بكل طيبة خاطر. لكن قبل كل شيء، سنفعل بما ينص علينا التقليد البريطاني ونتناول قليلاً من الشاي.»
رن الجرس فحضر الخادم في الحال.
«شاي للآنسة، يا بيدرو، ولي أيضا. تقليدكم هذا يدل على لطف ولباقة.»
احنى الخادم رأسه وخرج من الغرفة. كان دون ادريانو يراقب ليندا بامعان دقيق. وبعدما تفحصها من قدميها الى رأسها، اشتبكت نظراته بنظراتها وتمكنت من رؤية الاعجاب في عينيه. واحمر وجه ليندا قليلا. فقال :
«سنيوريتا، ارغب في معرفة ما الذي لفت نظرك في هذا الاعلان. هل هذا يعود الى احتمال ان تتخلصي نهائيا من اعبائك المادية؟»
ابتسم بسخرية وتابع يقول:
«خلال الايام الاخيرة، جلست مكانك نساء كثيرات، شابات. كلهن من الجنسية الانكليزية، شقراوات، طيعات ومحتشمات. حسب تصريحهن، ومن دون استثناء كل واحدة صرحت ان السبب الذي من اجله طرقن هذا الباب هو الحياة المترفة والاستقرار المادي طيلة حياتهن. غير اني اشعر،

ان الفضائل التي يتحلين بها كانت خاطئة مثل ألوان شعرهن. صحيح اني رجل عجوز، وتقليدي، ولكن ما زلت قادرا على الحكم اذا كان الشعر مصبوغا ام لا.»
احتجت ليندا رافعة ذقنها بحماس وقالت:
«لون شعري طبيعي، يا سيدي. واريد ان تعرف شيئا مهما، اذا كنت ابحث عن الحياة السهلة والاستقرار المادي، فليس ذلك من اجلي.»
قال باستغراب:
«هكذا اذن! في هذه الحال، هل باستطاعتي ان اسألك من اجل من تنشدين الاستقرار؟»
ترددت لحظة، ثم اعلنت تقول:
«ذكر الاعلان ان الطلبات مقبولة للواتي يتحملن اعباء الاسرة. معي، طفلة، عمرها سنة واحدة، وصاحبة الغرفة التي اسكنها انذرتني بضرورة مغادرتها لأن الطفلة غالبا ما تبكي. لأنها تتألم من اسنانها التي بدأت تظهر. واضافة الى ذلك، علمت البارحة ان مصاريف دور الحضانة حيث ارسلت ويندي ارتفعت اسعارها. واخشى الا اقدر على مجابهة الوضع. هذا ما دفعني للمثول هنا اليوم. اني ابحث بشكل يائس عن سقف يمكنه ان يؤوينا، انا وويندي. واذا لم اتمكن من ايجاده سأضطر الى وضع ويندي في دار الايتام. لكني

مستعدة لكل شيء كي اتحاشى ذلك. مستعدة لكل شيء.»

وببطء رفعت عينيه. كان العجوز يحدق فيها، ليس بتسامح، بل باحتقار. قطب حاجبيه وقال بسخرية:

«وانا الذي اعتقدت ان ابحاثي قد اعطت ثمارها في النهاية. لقد تأكدت منذ النظرة الاولى انك الوحيدة التي تلائم هذه الوظيفة. تبدين فتاة بريئة. سليمة النية. لكن، مع طفلة، بعد كل شيء!»

اطلق زفرة عميقة ثم اضاف:

«حتما، الاخلاق تغيرت كليا.»

احمرت وجنتا الفتاة، فنهضت فجأة وكانت تغلي من الغيظ قائلة:

«ليست ويندي ابنتي، بل شقيقتي، كيف بإمكانك ان تعتقد ان...»

ظل دون البرتو جامداً، ثم هز رأسه بحزن وقال:

«يا عزيزتي، لم اكن انتظر منك ان تجدي عذراً لما قلته.»

«لكن، ما تقول خطأ. ولست بحاجة الى اختلاق الاعذار.»

ضربت قدمها ارضاً بغضب. نسيت خجلها وقالت بصوت مرتفع:

«كنت في التاسعة عشرة من عمري عندما عرفت

والدتي انها تنتظر مولوداً سعيداً. وفترة الحمل كانت قاسية وخطرة، بسبب كبر سنها، لست قادرة ان ادخل بالتفاصيل الآن. كل ما بوسعي قوله انها ماتت في الوقت الذي انجبت خلاله ويندي. وبعد اشهر، قتل والدي في حادث سيارة. مذ ذاك وانا اهتم بأختي قدر المستطاع. للأسف راتبي غير مرتفع ويستحيل علي احيانا ان اوازي الدخل مع المصروف. لهذا السبب انا هنا. اعلانك دفع بي الى أمل الخروج من هذا الوضع. ربما الى حياة جديدة ستنفتح امام ويندي. غير اني لم آت الى هنا من اجل الحصول على حياة مترفة او من اجل الارتزاق. ببساطة، انا ابحث عن مكان يمكنني فيه ان اربي ويندي من دون ان اضطر الى اسكاتها كلما بكت، الى مكان حيث يمكنها ان تتفتح وتعيش حياة طبيعية. هذا ما ارغبه، يا سيدي، وهذا ما سأرغبه دائما، الى اللقاء.»

ارتدت قفازيها وهي على وشك الانهيار من البكاء وانهت كلامها قائلة:

«لا سبب لاستدعاء الخادم، اعرف الطريق جيداً.»

بسرعة ورشاقة بالنسبة الى رجل من سنه، اقترب دون البرتو منها وقال:

«لا تذهبي، يا آنسة، ارجوك. لقد اسأت الحكم

عليك. ارجوك ان تقبلي اعتذاري. هل تتشرفين بالبقاء؟ لدي ما اقوله لك.»

وكان دخول بيدرو المفاجيء وهو يجر طاولة صغيرة قد افقد من عزيمتها عن مغادرة الغرفة.

فقال دون ادريانو بلهجة ملاطفة:

«من فضلك، ابقي هنا وقدمي لي الشاي.»

كان من الصعب مقاومة طلبه، ولم تلبث ليندا الا ان استسلمت قائلة بعد لحظات مترددة:

«حسناً. اقبل اعتذارك. وسأحتسي الشاي معك.»

بصوت رنان دعاها الى الجلوس. وبينما كانت تسكب الشاي العنبري في الفنجانين، راح يراقب بعينه حركاتها الدقيقة.

وفي الحال اضاء بريق صغير عينيه السوداوين. خلال الحديث بينهما، استجوبها بلياقة ذكية، وارغمها على البوح بكل تفاصيل حياتها الماضية من دون ان تشعر اطلاقا انها تخضع لتحقيق. بل بالعكس كانت تشعر تجاهه بنوع من عرفان الجميل للاهتمام الذي يحمله اليها. كان يستعمل سحره بسعادة اشعرتها بالاسترخاء الممتع، كأنها تشاطر رفقة عمها المهتم بمشاكلها والذي يدير لها اذانا صاغية. شعرت بثقة تامة وراحت تقص عليه كل عذاباتها الماضية وآمالها المستقبلية.

دقت الساعة الرابعة، قاطعة هذا الحوار الحميم وقالت ليندا المندهشة باستغراب:

«كيف مر الوقت بهذه السرعة؟ لم اكن افكر اني سأتغيب اكثر من ساعة. يجب ان اعود الآن.»

نظر اليها دون ادريانو بدهشة وقال:

«لا يمكننا ان نختصر هذا الحديث الآن، ونحن ما زلنا في منتصفه، يا ابنتي. ما زلت في حاجة لأن احدثك بالتفصيل عن العرض الذي كنت بصدد تقديمه اليك.»

«اذن، هل في نيتك ان توظفني عندك؟»

«اخترتك ولن يقع اختياري على غيرك.»

ابتسم واقترب منها وقال:

«غير ان القرار النهائي عائد اليك، بكل تأكيد.»

استرخت ليندا في مقعدها متأثرة بلهجة دون ادريانو الوقورة. فقد كانت على انتظار وترقب.

سألها فجأة:«ماذا تعرفين عن تشيلي؟»

قالت مندهشة مستغربة:

«الشيء القليل. تقع في اميركا الجنوبية. اليس كذلك؟»

هز رأسه ايجاباً وابتسم قائلاً:

«تماما، انها بلاد بشكل الفاصوليا الخضراء، تقع بين الانديس والمحيط الهادىء. من جهة، هناك الجبال وثلوجها المستمرة، ومن جهة اخرى، البحر

وأمواجه العالية. انها وطني وارض بلادي. وهي المكان المفضل لتربية شقيقتك. هذا البلد متنوع المناخ بسبب طوله، وكذلك مناظره المختلفة. ففي الشمال، نرى فسحات شاسعة صحراوية حارة حيث الامطار نادرة. بينما في الجنوب، الغابات رطبة جداً ولذلك ابناء شيلي يقولون في مزاح انها تمطر على الاقل 365 يوماً كل سنة. وقمم الثلج المجلدة العالية تسبب السيول والانهار والبحيرات. وبين الاراضي الصحراوية في الشمال، والاراضي الواسعة والباردة في اقصى الجنوب، يقع السهل الاوسط الكبير. وهنا اقطن، في اسفل الوادي الخصب. الطقس رائع، الصيف حار وجاف والشتاء ممطر ناعم.»

توقف دون ادريانو لحظة ثم عاد يقول:

«اتت عائلتي الى هذه البلاد منذ القرن السادس عشر. اسلافي كانوا ينتمون الى المغامرين الذين غزوا اميركا، والذين جاءوا من اسبانيا، متعطشين الى خوض مغامرة البحث عن الذهب. لم يجدوا ما كانوا يبغونه، انما استقروا في هذه البلاد. وبعد مدة غير قصيرة ارسلوا وراء عائلاتهم. في البداية، كان ذلك صعبا لأنهم كانوا يعيشون محاطين بالهنود العدائيين. والخسائر البشرية كانت عديدة، لكن رويداً رويداً توصلوا الى التغلب

على جيرانهم وقهرهم. واليوم يعتبرون من ابناء تشيلي اكثر من كونهم اسبانيين. اننا معجبون كثيراً بشجاعة الهنود وحبهم للحرية، كما اننا نعي تماما كوننا متعلقين بالتقاليد القديمة التي حملها الغزاة معهم. ان هذه الفضائل التي يتمتع بها الهنود ساعدت على انشاء الامة التشيلية. الاستعمار الاسباني القديم اصبح جمهورية شابة. غير ان موقعها الجغرافي، وكونها مطوقةٍ بالجبل والبحر والصحراء يجعلها منعزلة تقريبا عن العالم. الحروب والثورات المستمرة مزقتها. الهزات الارضية والتيارات البحرية القوية والمتكررة، ساعدت على تدمير مدن بكاملها وما زال هذا يحدث الآن. البراكين استيقظت من جديد وتبرز احياناً بين ليلة وضحاها. ان الشباب منا يشبهون تماما «الكاوبوي» رعاة البقر الاميركيين العاملين في مزرعتي والذين يهتمون بالماشية. انهم صاخبون، انفعاليون وتلقائيون. وهم يعكسون صورة بلادهم.»

توقف قليلاً ثم اضاف:

«حفيدي يشبه هؤلاء العمال وهو الذي سيرأس المزرعة بعدي، في السنوات المقبلة. لكن، بانتظار ان يخلفني، سيعيش حياة رعاة البقر الى ان يحين اليوم الذي اقرر فيه ان اتقاعد.»

ران صمت قصير ثم تابع يقول:«ومن اجله، نشرت الاعلان في الصحف. واذا كنت ارغب في ان تأتي معي الى آخر العالم، ذلك من اجل ان تصبحي زوجته.»

حدقت ليندا به مذعورة وقالت بتلعثم:

«م...ماذا؟»

اضاف دون ادريانو والحزن يملأ وجهه:

«نعم. هذا محتوى عرضي، حفيدي بحاجة الى زوجة، واعتقد اني الوحيد الذي يمكنه ان يختارها له.»

اطلق زفرة وهمس بصوت يدل عن ارهاق وتعب:

«الآن، اصبحت رجلا عجوزا، يا آنسة. وارغب وهذه امنيتي الغالية، ان اغادر مزرعتي تاركا اياها في ايدٍ صالحة. عندما يتزوج، يصبح حفيدي قادرا ان يفرض سلطته على رجال الاعمال الناضجين الذين يتعامل معهم ويفرض الطاعة على العمال الذين في سنه والذين ما زالوا يعتبرونه واحدا منهم.»

راح قلب ليندا يخفق بسرعة وهي تهز رأسها. كلمات دون ادريانو احدثت عندها نوعا من الدوار. كتلة الصور تتداخل في مخيلتها. وتتصادم فوق بعضها البعض، قمم الجبال المثلجة، والبحار الهائجة والصحاري الحارة، حتى لهب الشمس

والغابات الغارقة تحت المطر، كل هذه الصور بدأت تتراءى امام عينيها. وفي هذه الاماكن قام الغزاة الوقحون، الباحثون عن كنوز الذهب، بشن معارك ضد الهنود.

الهزات الارضية المرعبة التي وردت في حديث دون ادريانو لم تحدث فيها رعبا مثلما احدث فيها عرضه غير المنتظر، الزواج من حفيده،كانت مضطربة ومشوشة وكانت تجد صعوبة كبيرة في السيطرة على تناغم افكارها.

العمال الذين يشبههم برعاة البقر الاميركيين، هؤلاء المندفعون الصاخبون، يعيشون نمط حياة مختلفة تماما عن الحياة التي يعيشها.

صحيح انه تسنى لها ان ترى في السينما المواشي المنتشرة على مد النظر في السهول، وان تعجب بالفرسان والرعاة الذين لا يغادرون احصنتهم ليلا ونهارا.

لكن هذه المساحات الشاسعة التي كانت تشاهدها على شاشات الصالات المظلمة، كانت تبدو من صنع الخيال، اكثر من كونها واقعية. اضافة الى ذلك، تلك الموائد التي يشترك فيها العمال في الهواء الطلق تحت ضوء القمر والنجوم حيث تشوى اللحوم بكمية ضخمة، تزيد هذا الشعور خيالا وبعدا عن الواقعية. فالبيض المقلي واللوبياء

المسلوقة، اليس هذا ما كان يتألف منه طعامها؟ وها هي الآن في وضع يقترح عليها رجل عجوز ان تتزوج من رجل ينتمي الى عالم آخر تجهل كل شيء عنه.

فتحت عينيها بقوة، فاحدثتا عندالرجل العجوز دهشة قوية، كأنها حالة صدمة ما. وتمكنت من القول:

«هل انت تتكلم بجدية؟»

اجاب بلهجة قاطعة:

«نعم. انا اتكلم بجدية تامة يا آنسة.»

اطلقت زفرة مؤلمة وقالت:

«لكن حفيدك هذا...ماذا يفكر بمثل هذا التدبير؟! اي نوع من الرجال هو كي يقبل ان يختار له جده زوجة؟»

اجاب:«اي نوع من الرجال هو؟ انه نسخة طبق الاصل عن والده. تألمنا لخسارته منذ سنوات عديدة. كان ابني الوحيد وقتل على اثر هزة ارضية. احب زوجته حبا كبيرا. وهي كانت رائعة الجمال. اراد يوما ان يقدم لها الملابس الجديدة ومساحيق الزينة، فاصطحبها معه الى المدينة. وهناك وقعت المأساة. كانا في الفندق عندما حدثت الهزة، وسقطت الجدران عليهما. كانا زوجين مثاليين، متحدين بشكل لا يوصف.»

ران صمت قصير ثم تابع قوله:«لا يتذكر حفيدي شيئاً عن والديه. ومع مرور الزمن، اصبح يذكرني كثيراً بوالده. في السنوات الاخيرة قبل وفاته، منحني ابني الوحيد ارتياحا وتعويضات جمة. وقبل وفاته ببضعة اسابيع، شكرني على طريقة تربيتي له وعلى نصائحي. سيشكرني حفيدي يوما ما، لأني سأدله على الطريق الصحيح، الطريق الوحيد لتحقيق الذات كليا. لكن، لا اعرف ماذا ستكون ردة فعله امام هذه المبادرة التي أقوم بها.»

فجأة اصبح نظره بارداً وغير واضح التعابير وقال:

«لكنه في الاخير سيفعل ما سأقوله له.»

شعرت ليندا بالشفقة تجاه ذلك الشاب الذي يعيش منذ سنوات عديدة تحت ظل هذا العجوز ذو السلطة المستبد. لا شك ان الثقة تنقصه وهذا ما تفهمه تماما، اذ انه يثق بحكم الغير اكثر من حكمه هو. لا شك ان الخجل قد شله. لا بد ان يكون انسانا معقدا وحساسا للانتقادات ومكبوتا على ذاته.

غير انها، بالرغم من الشفقة التي تشعرها تجاهه، فليس واردا ان تقترن به.

اعلنت بهدوء تام:

«انا آسفة عليك ان تبحث عن زوجة لحفيدك في مكان آخر.»

سألها بصوت قاطع:

«لماذا؟ هل انت مغرمة برجل آخر؟»

«لا ليس هذا هو السبب اطلاقاً.»

«اذن لماذا تكذبين؟ الم تؤكدي لي، منذ قليل، انك ستفعلين اي شيء من اجل ايواء اختك؟ وما اقدمه لك ليس اي شيء. يبدو انك لا تفهمين ان الحظ الجيد قد قدم اليك. فكري قليلاً بالحياة التي تعيشينها في الوقت الحالي وبالحياة التي اقدمها اليك.»

احتجت قائلة:

«لكنك لا تفهم شيئاً. لن اتزوج ابداً من رجل اجهل عنه كل شيء ولم يسبق ان التقيت به حتى ولو مرة واحدة.»

«غير انك ترغبين في الزواج يوماً.»

احمر وجه ليندا وقالت:

«يعني ان ... يوماً ما، اود ان... نعم.»

قاطعها وقال بصوت ناعم:

«انت كثيرة التفاؤل اليس كذلك يا آنسة؟ آمالك كثيرة من دون شك. لكن هل تعتقدين حقاً ان رجلاً سيقبل ان يربي طفلة ليست منه؟ الرجال انانيون، ويرفضون التضحيات، هل تريدينني ان

ارسم لك وضعك، الذي ستواجهينه بعد بضع سنوات؟ سترهقين بأعباء تربية طفلة لوحدك، وستصبحين عجوزاً قبل الآوان. ستجدين نفسك وحيدة عندما تصبح اختك في سن الدراسة، ثم وحيدة من جديد، عندما تبدأ في الخروج. وسترين سن الشيخوخة يمتد امامك. وستجدين نفسك غير محبوبة او مرغوبة. ولا تعودين بحاجة للانتظار كي تشكرك اختك على اهتمامك بها، هذا اذا كانت مختلفة وغير اعتيادية.»

غمرتها قشعريرة باردة فقالت:

«انت رجل قاس.»

«واقعي، من الافضل لك ان تتبعي نصيحتي.»

ادار ظهره وخرج من الغرفة. وبالرغم من الحرارة داخل الغرفة شعرت ليندا ببرد وخوف فوق الوصف. راحت ترى نفسها وحيدة وقد فقدت اغراءها وجاذبيتها، واصبحت هرمة. اليس هذا ما يخيف؟

نظرت حولها وراحت تقارن محتوى هذه الغرفة الانيقة والفاخرة بغرفتها الحقيرة الفارغة، غرفة عليها مغادرتها بعد اسبوع. الى اين تذهب؟ والى متى سيدوم هذا الواقع المؤلم؟ ربما ستشعر ويندي بعدم الاستقرار الذي سيترك فيها اثراً ابدياً.

عندما عاد دون ادريانو الى الغرفة كانت عينا ليندا تحدقان بنار المدفأة التي يترنح لهبها باستمرار. كانت تبدو هادئة جداً. اقترب منها فادارت وجهها نحوه. ورأت في عينيه بريق امل، ابتسمت له فقال:

«هل قررت، يا آنسة؟»

«نعم، سيدي. قررت ان اقبل العرض. آمل ان يجدني حفيدك زوجة تناسبه.»

الفصل الثالث

بعد ثلاثة ايام كانت ليندا جالسة امام نافذة الفندق الذي يطل على الساحة العامة، تراقب فصيلة من الجنود تقوم بمناورات حربية على صوت الابواق. انه تبديل الحرس امام قصر مونيدا، قصر الضيافة التابع لرئيس الدولة. ويعتمر الجنود قبعات ويرتدون الدروع والسراويل الكاكية وينتعلون جزمات من الجلد الاسود تصل الى ركبهم. كانوا مصطفين امام من سيحلون مكانهم، وينتظرون الاوامر. الضباط التابعون للفريقين. يسحبون سيوفهم ويحيون بعضهم، بحركات انيقة ودقيقة. ويحصل التغيير، اثنين اثنين، الى ان تتغير الفصيلة كلها. ثم تعزف الابواق موسيقى عسكرية ويمشي الجنود بعد نهاية مهمتهم في شوارع سانتياغو متجهين الى ثكنتهم.

بدت العاصمة ممتدة كلياً امام انظار ليندا. انها تقع وسط سهل واسع ويعبرها نهر في جهتها الشمالية. وتحدها شرقا الجبال الشاهقة التي تسد الافق، وهي جبال الانديس.

كان الانطلاق من لندن منذ 24 ساعة وكانت

WWW.RWITY.COM

الرحلة مريحة وموفقة. واهتم دون ادريانو بالطفلة ويندي تماما كما يجب. وبينما كانت في احضان ليندا لم تكف عن النظر اليه والابتسام له.

سحرته الطفلة فأصر على حملها وتدليلها تاركاً ليندا في افكارها وهي تتساءل عن الحوافز العميقة وعن الشائعات التي ستروجها زميلاتها في المكتب.

خادم دون ادريانو اهتم بكل شيء، حتى آخر التفاصيل. لكن الوقت كان قصيراً وشعرت ليندا بأنها لاهثة ومبهورة. كانت تعي انها ترتكب جنونا حقيقيا. ففي انزعاج كبير، كانت قد اتصلت بمديرها وشرحت له انها ستقدم استقالتها من العمل.

«بسبب الظروف العائلية، اضطررت للبحث عن مسكن جديد. كما اني وجدت عملاً آخر لا يبعد عن المكان الذي اسكنه.»

اجابها بلهجة لطيفة:

«اننا آسفون ان تغادرينا لكن، بما اننا ندخل مرحلة عصيبة، فغيابك لن يؤذينا. بامكانك ان تتصلي بي في الوقت الذي يناسبك حتى ارسل اليك راتبك وشهادة العمل.»

اتصلت ليندا بمديرها هاتفياً في فترة الغداء، حتى تتحاشى اسئلة زميلاتها المحرجة. فهي

لا تتمتع بالشجاعة الكافية لترد على اسئلتهن. كانت علاقاتها مع زميلاتها في المكتب علاقات عمل وحسب. وكانت تضطر الى رفض جميع الدعوات، لأنها كرست كل وقتها الفارغ للاهتمام بويندي. ولذلك لم تكن على صداقة حميمة مع اي من الزميلات. وفكرت ليندا في مرارة انهن سيتكلمن عنها يوما او يومين، ثم سينسينها تماما كباخرة في عرض البحر تختفي في الليل ولا تترك سوى صورة هاربة.

تنفست الصعداء وابتعدت عن النافذة متوجهة نحو سريرها. منذ وصولهم الى هذا الفندق، تدبر لها المدير مربية لتهتم بويندي خلال مدة اقامتها القصيرة في العاصمة التشيلية.

نصحها دون ادريانو قائلا:

«حاولي ان تنامي قليلا، اذا تمكنت من ذلك، يا عزيزتي. سنلتقي وقت الغداء في قاعة الطعام. هناك اشياء كثيرة اريد ان احدثك بها قبل الذهاب الى المزرعة.»

قبلت هذا الاقتراح بفرح كبير. فقد تمت الاحداث بسرعة غريبة في الايام الاخيرة. وهذه البلاد تربكها. الضجيج، والمناظر الجديدة، والوجوه، كل شيء يبدو غريبا عليها، بل محيرا وكئيبا. تمددت ليندا على سرير مريح والاغطية ناعمة، ومع ذلك

فلا شيء باستطاعته تهدئة اضطراب اعصابها. كانت متقلصة الوجه ومشوشة الافكار.

الم تقبل بالزواج من رجل لم تره في حياتها من قبل؟ وهل هي قادرة ان تكون سنداً فعالا لهذا الرجل الخجول ذي الطبع اللين؟ وهل ستحل الخدمات التي ستقدمها له مكان الحب؟

لم تتوصل الى الشعور بالراحة المنشودة وظلت تتقلب في فراشها من دون جدوى. احتلها ارتخاء متعب وتدريجياً شعرت بثقل في جفنيها وسرعان ما غطت في نوم عميق. حلمت ان رجلا ظهر في حياتها ليريحها من كل اعباء الحياة كانت ارادته لا تقهر وحماسه لا يضاهى. جاء ليعزيها ويواسي همومها. شفى جروحها العميقة واعاد اليها الحماسة وحب الحياة. واخيراً، اشعل في صميم قلبها الحب. منذ سنة تقريباً وهذا الحلم يراود لياليها.

وعندما استيقظت من نومها، بعد مرور ساعة تقريباً، كانت الدموع تتلألأ في عينيها. نظرت الى ساعة يدها. ما زال امامها الوقت الكافي قبل ان تهيء نفسها لموعد الغداء. الشمس سربت اشعتها من وراء النافذة الخشبية المغلقة. وألقت نظرة حولها باستغراب. انها تذكر كليا انها تركت النوافذ مفتوحة قبل ان تتمدد في سريرها. لا احد

غيرها موجود في الغرفة. غير ان شخصاً، قد دخل الى غرفتها بصمت وهدوء بينما كانت نائمة واغلق النوافذ. وبسرعة، توجهت الى الباب واقفلته بالمفتاح. الشعور بالتجسس عليها وضعها في حالة انزعاج. لكن تصرفها هذا لا يجدي واعتبرته تافهاً. غير انها شعرت في الوقت الحاضر انها سريعة العطب وان اقفالها الباب سيجعلها اكثر اطمئنانا.

شعرت برغبة في الاستحمام فتوجهت نحو الحمام، وتوقفت فجأة حين رأت تلة من الصناديق الرمادية موضوعة في ارض الغرفة. انها من مختلف الاحجام وكلها تحمل اسم «ميرابيل» محفورة احرفها بالذهب. تناولت الصندوق الاول وهزته بحذر فصدر عنه حفيف بالكاد سمعته فأثار اهتمامها. فتحته وبيدين مرتجفتين ابعدت الورقة الحريرية البنفسجية وشاهدت قميص نوم من الدانتال الناعم. لم تتمكن من الامتناع عن اطلاق زفرة استغراب فرحة قبل ان تسحبه من العلبة وتتأمله مليا.

وواحدة بعد الاخرى فتحت جميع العلب بنوع من الاثارة جعل انفاسها تتقطع: كل صنف من الالبسة يسحر الالباب، ومن دون ان تصدق، انتشرت اخيراً مجموعة من الفساتين وقمصان

النوم والبزات والبنطلونات والحقائب اليدوية والاحذية. لا شك ان هذا كلف اموالا طائلة. كانت الغرفة قد امتلأت بالاوراق واغطية العلب. عندما فتحت الصندوق الاخير، الذي يفوق حجما بقية الصناديق الاخرى، وجدت صعوبة لتمزق الورق الملفوف حول العلبة قبل فتحها. لكنها سرعان ما اطلقت صرخة اندهاش وهي تنظر الى معطف من الفرو الغامق اللون.

وظلت فترة طويلة مفتونة امام هذه الثروات الممتدة امامها، حتى نجمات السينما لا تملكن مثل هذه الملابس الفاخرة والباهظة وبما انها معتادة ان تكون فتاة اقتصادية، وجدت مثل هذا الاسراف غريبا، ولا تجروء ان تقدر قيمته.

وبعد تفكير طويل، اختارت ثوبا ابيض اللون، بسيطا، يدخله التطريز الانكليزي. ارتدته ووقفت امام المرآة تتأمل نفسها داخل هذا الثوب فوجدت انه يليق بها اذ ان قصته ذات فن رفيع. ان هذا الفستان يظهر شكل جسمها النحيف والمشوق، ويلفت الانتباه.

مساحيق الزينة والعطورات كانت موجودة ايضاً. فوضعت على شفتيها قليلا من احمر الشفاه، بلون المرجان، وكحلت عينيها وجفنيها، وكانت في الوقت نفسه تفكر بالرجل الذي حلمت به يرافقها.

تذكرت دون ادريانو، هذا العجوز الفريد من نوعه الذي لا شك ان لديه معرفة واسعة فيهن. في حدس ذكي، عرف ذوقها تماما، بالرغم من لا مبالاتها بالزينة والملابس المترفة. حتى انه اكتشف قياسات جسمها وقدميها.

وبعدما تأكدت ان ويندي تنام بهدوء، ليندا متوجهة الى مطعم الفندق حيث كان دون ادريانو في انتظارها. نهض واقفا عندما رآها تقترب منه. فشعرت ليندا في الحال برغبة التعبير عن امتنانها، فمدت له يدها، لكنها اندهشت عندما رفعها الى فمه.وقال باعجاب:

«الشعلة الجميلة.»

قالت وهي تهز رأسها:

«شكرا جزيلا، يا سيدي.»

كان الوقت ظهرا والشمس التي كانت تملأ الغرفة تعكس اشعتها على جدائل شعر ليندا الملفوف حول رأسها.

بعد وقت قصير، جلسا امام مائدة الطعام وقدم لها الخادم سلطة «بالتا» المؤلفة من القريدس والآفوكادو المتبلة بعصير الحامض. والوجبة الاساسية كانت مؤلفة من عجينة تحتوي على مجموعة من اللحوم، والزيتون والبصل والفلفل الاخضر والزبيب. وبينما كانا يأكلان كان

www.rewity.com

الحديث يدور حول امور عادية، لكنهما كانا يعرفان جيدا، انهما سيشرعان بعد قليل البحث في الامور الاساسية. بابتسامة متسامحة، انتظر دون ادريانو ان تنتهي ليندا من تناول الوجبة الاخيرة المؤلفة من بوظة الفراولة، وان تحتسي القهوة. ثم اعلن بغتة:

«صباح اليوم اتصلت بحفيدي. سيأتي في طائرته لملاقاتنا في مطار سانتياغو.»

ثم القى نظرة الى الساعة واضاف:

«سيصل بعد ساعة بالضبط.»

قالت ليندا بصوت مخنوق:

«هكذا باكرا؟»

بإشارة من رأسه وافق دون ادريانو ثم قال:

«اريد ان اطلب منك شيئا. قبل وصول حفيدي بعد تفكير طويل، توصلت الى النتيجة التالية: ارى انه من الافضل ان تدعيه يعتقد ان ويندي ابنتك.»

ارتسم الاندهاش على وجه الفتاة، فأسرع يقول بالتحديد:

«وفي الوقت المناسب، سأفصح له بالحقيقة كلها.»

«لكن لماذا تريد ان تكبده خيبة الامل هذه؟»

ظل ساكتا يحدق فيها بإمعان. كان وجهها مليئاً

بالبراءة والنضارة، مما جعل الابتسامة ترتسم على وجه دون ادريانو الذي قال:

«بما اني اعرف ذوق حفيدي بما يسمى بالالغاز، فقد قررت ان اطرح عليه لغزا. لا شيء يوقظ التحدي مثل سر يبقى كاملا. وكيف عندما يرى فتاة متحفظة وبشوشة لا يمكن لأحد ان يشك انها ام لطفلة صغيرة؟ الطفلة تشبهك كثيرا وسيعتقد، كما سبق واعتقدت انا، انها ابنتك. سيكون الامر طبيعيا.»

احمرت وجنتا ليندا وحاولت جهدها للحفاظ على هدوئها وقالت:

«اذن، تريدني ان أدعي بأني والدة ويندي من اجل ان تعرف فضول حفيدك، فقط لا غير. اعتقد ان ذلك ليس تصرفا لائقا من جانبك، ان بالنسبة اليّ او بالنسبه اليه.»

تجهم وجه دون ادريانو وظهرت القساوة في نظرته وقال بلهجة لاذعة:

«لا دخل للعواطف بهذه الصفقة التي عقدناها وليس فيها سوى الفوائد المادية التي ستحصلين عليها.»

اكفهر وجهها، ظاهريا يبدو هذا العجوز طيباً ولكنه يخفي وراء ذلك قساوة حقيقية. غير انها توافق بأن له الحق في ان يذكرها بغاية هذا

الاتفاق، الذي تجني منه فائدتها بسعادة ساذجة. غرفتها في فندق درجة اولى، ملابسها الفاخرة، كلها تظهر كرمه. وفي الوقت الحاضر، لم يعد لها الحق بالتذمر، لانها قامت باختيار سجنها الذهبي وعليها ان تسلم به وتتحمل كل المسؤولية.

قالت:

«سأفعل ما تريده. لكن، ماذا تريد مني ان اقول لحفيدك بالضبط؟ الموضوع شديد الدقة.»

«انك مسؤولة عن طفلة وعليك تحمل اعباء ذلك، ببساطة.»

«شيء في اعلانك اثار اهتمامي وهي الفقرة التي تتعلق بقبول طلبات اللواتي يتحملن اعباء الاسرة. نادرا ما يقبل اصحاب العمل ان يقيم الموظف لديهم في بيوتهم مع افراد العائلة. اذا، لماذا؟»

وبما ان ليندا وعدت بلطف ان تفعل ما يريده العجوز منها، تغير مزاجه وتناول سيكارا واجاب قائلا:

«كل كلمة وردت في الإعلان كانت مدروسة في اعتناء ودقة، وخصوصا ما جاء في الفقرة التي تنوهين بها. الفتاة التي كنت ابحث عنها عليها ان تملك كل الصفات التي لا جدل فيها، ان تتحلى بحسن الواجب، الذي هو اهم شيء في نظري.

يجب الا افقد ثقتي بها في المستقبل. وعندما يكون المرء خاليا من هذه الصفات لا يمكنه ان يتحمل اعباء الاسرة وخصوصا لفترة طويلة. وهذه الطفلة تخدم خطتي تماما. لا يجب المرء اهله فعلا الا بعدما يصبح هو ابا أم اما ايضا. لذلك، ان تعيشي قرب هذه الطفلة، وتهتمي بها، سيعود ذلك اليك بفائدة جمة. فإذا امضى حفيدي ليلة قرب سرير طفلة مريضة سيتعلم الكثير وسيجني ثمارا لا يمكن لأي فلسفة نظرية ان تمنحها له.»

«قلت ان حفيدك لا يتذكر والديه اطلاقا. وبنظره، انت الذي لعبت دور اهله. هل هذا يعني انه تصرف نحوك بجحود؟»

«ليس تماما. لكنه يشك بصحة طريقتي وليس قادرا ان يفهم بوضوح دوافعي. ربما اذا جابه بنفسه المشاكل التي تطرأ على تربية الاطفال، سيعي الصعوبات التي واجهتها عندما كنت اربيه. سيفهم اخيرا ان ما افعله يخدم مصالحه.»

بقدر ما هذه المصالح توافق مصالحك. هذا ما فكرت به ليندا في نفسها وهي ترتعش.

منذ لقائهما الأول، تنبأت ليندا ان هذه اللياقة الخارجية التي يظهر بها دون ادريانو تخفي وراءها رجلا قاسيا وحاسما، يسخر بآراء غيره، ويفرض ارادته على الضعفاء، وذلك في عجرفة

www.rewity.com

وتعاظم ودون مراعاة. وبالنتيجة، ايقظ في نفس حفيده الخجول والمطيع العداء والضغينة.
انقبض قلبها. حفيده انسان ضعيف وواهن مثلها. ماذا بإمكانهما ان يفعلا، اذا كانت هناك يد حديدية تعاملهما كما تشاء؟

الفصل الرابع

في سيارة الاجرة التي تقلهم إلى مطار سانتياغو، لم يتكلم دون ادريانو الا قليلا. كان يبدو متوترا وعصبيا. ولما دخلوا الى المطار، شعرت ليندا بانقباض وتوتر ايضا.
بعد دقائق قليلة، ستتعرف الى الرجل الذي وعدت بالزواج منه، كانت ويندي متكورة على صدر اختها بقوة، مما جعل ليندا تسرع لتقف قرب دون ادريانو الذي كان يركز نظراته الى الطائرة الأنيقة الواقفة على المدرج. همس يقول:
«عظيم. لم يتأخر في الوصول.»
ارتخت تقلصات شفتيه وابتسم. وانتشرت حولهم حركة نشطة اندفع سيل من المسافرين الى الطائرات التابعة لمختلف شركات الطيران. الاقلاع والهبوط يتعاقبان في تناغم ثابت. لكن ليندا لم تكن تنظر الا الى الرجل الذي خرج من الطائرة الفاخرة وراح يتقدم نحوهم بخطى واسعة. فأشار اليه دون ادريانو بيده، ثم قال باستغراب وخيبة امل:
«لماذا جئت انت يا كوستا؟ اين حفيدي؟»
ارخت ليندا ضغطها على ويندي وشعرت بارتياح

WWW.REWITY.COM

لأن الشاب الواقف امامها ليس حفيد دون ادريانو. كانِ الطيار يرمقهم بنظرات استغراب وبدا منزعجا بشكل واضح، ثم قال:

«طلب مني ان اعبر لكم عن اسفه لعدم قدرته المجيء يا سيدي. من كثرة انشغاله، لم يتمكن من المجيء ليرافقكم.»

قال دون ادريانو غاضباً:

«تبا له! ما الذي منعه من المجيء؟ لم تحدث هزة ارضية على ما اظن!»

اخذ كل واحد مكانه داخل الطائرة. فجلست ليندا قرب العجوز المتوترِ الاعصابِ. وخلال مدة نصف ساعة، ظل صامتا وعابسا بينما كانت الطائرة تتجه نحو الجنوب. وغابت العاصمة وناطحات السحاب بعيدا وراءهم. كانت الطائرة تحلق على ارتفاع منخفض فوق حقول مزروعة باشجار السرو والاوكاليبتوس والحور. وقنوات مائية تصل الحقول ببعضها البعض.

قال دون ادريانو بعد ان انفرجت اسارير وجهه:

«هذه الاراضي هي افضل اراضي شيلي. وبسبب الجبل، الري يتم بصورة جيدة. جبال الإنديس والتلال المكسوة بالثلج تشكل خزانا حقيقيا. لذلك فلا تنقص المياه حتى في الصيف الجاف.»

سألت ليندا وهي متقلصة اليدين:

«هل لديك مزروعات؟»

«اننا نرعى الماشية. لكن لدينا بالطبع حقول مزروعة تكفي حاجتنا فقط.»

ومرة اخرى غاص صمت عميق. وازداد توتر ليندا التي كانت تحدق من خلال نافذة الطيارة وترى حقول القمح والذرة والشعير والخضار، ثم قطعان الماشية. وبعد قليل لم تعد ترى سوى مساحات واسعة من العشب الممتد الى ما لا نهاية وحيث ألوف الابقار والاغنام والماعز. لم يسبق ان رأت مثل هذا التجمع الضخم وهذه القطعان.

ولما بدأت الطائرة بالهبوط باتجاه احد المنازل الذي كان بالكاد مرئيا على خط الافق.

عرفت ليندا انهم وصلوا الى المكان المقصود. وخلال الهبوط خارت قدماها وشعرت بخفقان قلبها.

على طرف المدرج كانت سيارة بانتظارهم. صعدت ليندا في المقعد الخلفي وسارت السيارة في الحال متجهة نحو مسكن كبير يقع وسط مجموعة من اشجار الاوكاليبتوس. الجدران مبنية من الحجارة الثقيلة، ومطلية بالكلس الابيض. اما السقف فمصنوع من صفوف القرميد الاخضر المدور. البلاط الاخضر يكسو ارض الشرفة وينتشر حول بركة السباحة.

عندما دخلوا المنزل، لاحظت ليندا البلاط نفسه في الارض.

دعاها دون ادريانو ان تعبر المدخل وتوجه بها نحو الصالون. بساط بني فاتح يفرش الارض، وفي الصالون مجموعة مقاعد مستندة الى الجدار ملبسة بالقماش الهافاني، وعلى الجدران رفوف بيضاء مليئة بالكتب الضخمة والمجلدة. هنا وهناك لمبات رفيعة وانيقة تليق بهذا الجو. مدفأة ضخمة تلفت النظر، من حجر الرخام تعلوها ظهرية نحاسية تعكس الوان النار الفاقعة والمتبدلة. ويمكن لعشرة اشخاص ان يتجمعوا حولها.

فتنها المنظر كلياً. فسألها دون ادريانو الذي شعر بسعادة واطراء:

«هل اعجبك منزلي؟»

كانت نظراتها البراقة تفيض بجواب ايجابي. فقالت:

«انه رائع للغاية، يا سيدي، ويحتوي على ذوق رفيع. عرفت ان تدخل كل وسائل الراحة والحياة العصرية من دون ان تسيء الى الطابع الاصلي.»

هز رأسه وكاد ان يشكرها لهذا الاطراء حين انفتح باب الصالون بعنف واطلت منه امرأة،

قصيرة القامة، بدينة وراحت تهز ذراعيها مرحبة بهم في حرارة.

«المعذرة يا سيدي الكونت، لقد اعلمني الطيار كوستا بوصولك لتوه. تأخذان بعض الشراب المنعش، انت والسيدة، اليس كذلك؟ هل اجلب حليباً للطفلة؟»

«شكراً يا كارمين. انا اكيد ان ضيوفي يشعرون بالعطش مثلي. لكن قبل ان تقدمي لنا الشراب، ربما من الافضل ان ترشدي الآنسة باين الى غرفتها. هل اخذتم التدابير الضرورية بما يتعلق بالطفلة، حسب اوامري؟»

«نعم يا سيدي. كل شيء جاهز. لو تتفضل الآنسة وتتبعني؟»

وقبل مغادرة الصالة سأل دون ادريانو مستعلماً:

«والمربية؟ هل وجدت المربية المناسبة؟»

«اهتميت بالامر كذلك يا سيدي. طلبت من شقيقة كوستا ان تهتم بالامر. وهي تنتظر بفارغ الصبر ان تلتقي الصغيرة.»

قال بامتنان ظاهري:

«رائع. كل شيء تم على احسن ما يرام.»

ثم وجه كلامه الى ليندا بوجه بشوش وابتسامة على الشفتين:

«عليك ان تعذريني، يا آنسة، ستحتسين الشراب وحدك. بسبب تغيبي عن المنزل، تكدست الاعمال عليّ. لكن في المساء سنتناول العشاء معاً. وآمل حينذاك ان اعرفك الى حفيدي، الذي سيعتذر بحرارة لأنه لم يأت لاستقبالك في المطار.»

«لا تقلق عليّ، ولا تتردد في ممارسة اعمالك التي لا بد ان تكون كثيرة، على ما اظن. أما بالنسبة الى حفيدك فنعرف ان العمل اعاقه عن المجيء. سنلتقي جميعاً في المساء.»

كادت أن تفقد هدوءها لمجرد التفكير بهذا اللقاء. وحاولت ان تتمالك نفسها، فتبعت كارمين وهي تضم شقيقتها ويندي الى صدرها. لقد حققت ما كانت تتمناه، اذ وجدت المكان المناسب كي تترعرع فيه ويندي، من دون ان تشعر بحاجة لأي شيء. لكن عليها ان تدفع هذا الثمن، حتى ولو كان مرتفعاً.

تبعت ليندا كارمين التي قادتها الى اعلى البيت حيث تقع غرفتها وغرفة شقيقتها ويندي. كانت كارمين تتكلم بسرعة من دون توقف شارحة للضيفة كل ما بوسعها قوله.

كانت الغرفتان تقعان تحت سند السقف مباشرة وقد طليت جدرانهما بالابيض وبنيت الخزائن والرفوف في الزوايا العديدة، بذكاء واتقان.

وتحت النافذة علقت صفحة خشبية طويلة يمكن استعمالها كطاولة عمل. والغرفتان متصلتان ببعضهما البعض بباب داخلي. في غرفة ويندي، كانت النوافذ مصونة بشباك حديدي من خلاله يتسرب الهواء المليء بأريج الزهور المختلفة. وبعد وقت قصير تعرفت ليندا الى بيللا المربية التي اختارتها كارمين للاهتمام بالطفلة. فناولتها شقيقتها النائمة بين ذراعيها والتي وضعت للحال في سريرها.

تعجبت ليندا مما تراه. لو انها جالت انحاء المعمورة كلها لما امكنها اكتشاف هذا المكان الذي يشبه. وفي فرح وغبطة راحت تتصور شقيقتها وهي تلعب في هذه البساتين الخلابة بين الحيوانات الاليفة. لا شيء في العالم يرغمها على الرحيل من هنا... هذا ما وعدت نفسها به.

امضت ليندا بقية فترة بعد الظهر في التنزه حول المنزل. كانت تجول في المكان من دون هدف معين. وبعد قليل وصلت امام مكان مسيج، فاسندت ظهرها على الاسوار الخشبية.

كان المكان خالياً. لا شك ان الرجال في مثل هذا الوقت يكونون في السهول المجاورة، يرعون القطعان التي شاهدتها وهي في الطائرة. فأكملت تجوالها،ذهاباً وايابا، في خطى هادئة، ونظرت

داخل مبنى واسع معد خصيصاً للمنامة. ليس في حركة. لكن بعد قليل سمعت اصوات طناجر وسكاكين فاقتربت لتكتشف مطبخاً واسعاً تنبعث منه رائحة اللحوم المشوية. هنا يحضر طعام رعاة البقر الذين لا بد ان يعودوا في اقل من ساعة.

بدأت الشمس بالمغيب فأسرعت ليندا في العودة الى المزرعة. كانت مصرة على ان تبدو بأفضل شكل امام الرجل، سبب سعادتها وحظها. كما وهي على استعداد كي توقظ في هذا الرجل الخجول كل اهتمام وفضول. فارتدت فستاناً مخملياً، ازرق، ذا اكمام طويلة، يظهر نحافة جسمها وانتعلت حذاء رمادياً فضياً. ثم سرحت شعرها الطويل حتى ينسدل امواجاً شقراء على كتفيها. ونظرت مرة اخيرة في المرآة وشعرت بالامتنان من نفسها، في الحال خرجت من غرفتها.

عند اعلى السلالم استجمعت كل ما لديها من شجاعة، كادت تقوم بالخطوة الاولى، حين سمعت عدداً من الاصوات المبتهجة تنقض على المنزل، وتعكر صفو هذا الهدوء الذي كان مستتباً طوال فترة النهار. كان عشرات الفرسان يقفزون عن احصنتهم ويتوجهون في صخب الى المطبخ.

تسمرت ليندا في مكانها مترددة. ثم سمعت

خطوات ثقيلة في الشرفة مباشرة تحت النافذة. احد الرعاة وتقدم في المدخل وسمعت بوضوح صوت المهاميز تسقط في البداية كانت عادية لكنها سرعان ما ارتفعت عالياً، وبدأ الضجيج والصراخ والصياح والصخب. بالكاد تعرفت الى صوت دون ادريانو لأن من كان يتكلم معه كان يقاطعه باستمرار وبحقد وبلهجة انتقامية.

في حيرة واضطراب، انحنت ليندا الى الامام محاولة ان ترى الرجل الذي يجاوب بحدة وعنف على كلمات دون ادريانو. من يكون هذا الرجل ليجرؤ ان يتطاول على العجوز الذي يدير المزرعة بيد من حديد؟ لا يمكنه ان يكون موظفاً او عاملاً، لأن مثل هؤلاء لا يستطيعون ان يتكلموا بهذه الوقاحة وهذا الجفاء.

صفق باب بعنف محدثاً ارتجاجاً في جدران المنزل. وعاد الصمت الثقيل المقلق. وعبق الجو بتوتر يشبه الكهرباء.

حاولت ليندا السيطرة على خوفها، فتنفست الصعداء واطلقت زفرة طويلة. فجأة انفتح باب غرفتها بقوة ودخل الغرفة رجل ممشوق القامة، يرتدي بزة سوداء. هذا الاقتحام الفظ أرعب الفتاة، فتسمرت مكانها من دون ان تحدث صوتاً. كانت تحدق بالرجل بعينين متسائلتين.

كان الرجل يتأملها بامعان ووقاحة. كان يتمايل من كل جانب ويطقطق بمهمازه الفضي. يرتدي سروالا من الجلد الاسود. وكان قميصه المفتوح يظهر صدره الاسمر. وشعره مشعث من شدة الريح لونه اسود مثل لون عينيه اللتين تلمعان ببريق ماكر.

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة وقاسية مظهرة اسنانه البيضاء الناصعة.

قال بلهجة مستخفة:

«اذن، انت آخر مقتنيات الكونت! كان يجب علي ان افطن الى انه سيختار فتاة شقراء باردة، كأنها مصنوعة من جص.»

«من انت؟ كيف تجرؤ على الدخول الى غرفتي من دون ان...»

قاطعها بعنف قائلاً:

«آه، ارجوك، لا تبدأي باعتباري انساناً احمق! لا يليق بك ان تلعبي دور النساء الخجولات حسب رأي جدي، انت مستعدة تمام الاستعداد لتقاسميني حياتي.»

احمرت وجنتا ليندا اشتعالاً وهمست تقول بألم:

«اتريد ان تقول انك...»

«زوجك، لا اكثر ولا اقل. لكني زوج متمرد.»

احنى رأسه ساخراً واضاف يقول:

«انا دون دي فالديفيا، حجر آخر في لعبة جدي.»

تلعثمت تقول:

«حجر... لعبة...؟»

اقترب منها وقال:

«ربما لا تعرفين خطة جدي. لا شك انه خجل ان يكلمك عن خطته. اجلسي، هناك شيء عليك ان تعرفيه بشكل ضروري.»

جلست ليندا في المقعد، وكتفت يديها وشدتهما الى بعضهما بتشنج، كأنها تريد بذلك ان تبدد خوفها الكبير من هذا الرجل، الذي يشبه دون ادريانو بشراسته وهوله. كان عليها ان تتخلص من اوهامها وقناعاتها، فهو ليس كما وصفه لها دون ادريانو، ذلك الرجل المنطوي على نفسه والورع. وبدأت تفضل ان تجابه اي بلاء او مصيبة، ولا ان ترتبط حتى آخر حياتها بهذا الرجل السفاح، البربري ونظرته الباردة، وارث التوحش من اسلافه الغزاة.

قال بنبرة قاتمة:

«جدي مربي ماشية معروف. قضى حياته يختار ويزاوج ويحسن مختلف الاجناس. واليوم، انه قادر ان ينتج ، حسب الطلب الحيوانات القوية المؤذية او الوديعة. وهو يفتخر بذلك. واضافة الى

www.rewity.com

هذا فهو على استعداد ان يرد للشاري كل ما دفعه اذا لم يكن هذا الاخير راضيا بما يشتريه. وفي الوقت الحاضر، ينوي جدي ان يطبق معلوماته وخبراته على الجنس البشري.»

فوجئت ليندا بما يقوله واصابتها الغصة. لكن ماريو دي فالديفيا لم يترك لها مجال الاحتجاج اذ قال مؤكدا:

«نعم. ما أقوله صحيح. لقد سبق وفعل ذلك ونال نجاحاً كبيرا. ولهذا السبب يريد ان يقوم بتجربة جديدة.»

صمت قليلاً ثم تابع يقول:

«والدي كان مثلي، رجلا عنيداً. كان يفضل ان يفعل ما يروق له حتى ولو قام بأخطاء كبيرة، بدلا من ان يستمع لنصائح جدي. وذات يوم، ومن دون سابق انذار دخلت المزرعة فتاة جميلة. كانت انكليزية شقراء، ذات عينين زرقاوين، وديعة ومطيعة. اختيرت كي تعجب والدي. وقيل لي انه وقع في غرامها وكان ذلك الحب متبادلا بينهما. غير اني شككت في بادىء الامر، واعتقدت ان والدي وقع في حب هذه المزرعة الغنية اكثر من حبها. لكن للأسف، هذه الهزة الارضية لم تسمح لجدي ان يكمل تجربته حتى النهاية، ولا شك انه متأسف على ذلك. وكذلك، ومن دون

اي شك، يريد ان يقوم بتجربة جديدة معنا.»

رفع ذقنه وسألها بسخرية:

«ماذا لو قلت لك انه اختارك فقط من اجل ان يكون لك الاثر اللطيف عليّ مما يجعلني اتصرف نحو جدي بطاعة عمياء؟ لكنني احذرك، يا آنسة، ان هذه الخطة لن تنجح. ولا احد بامكانه ان يجعلني اقبل به.»

بدأ قلب ليندا ينبض بسرعة بالغة، فرجعت الى الوراء ويدها على قلبها وقالت وهي تهز رأسها:

«لست انوي ان اجعلك تقبل بي يا سيد. كنت اعتقد انك كنت بحاجة اليّ ولهذا السبب جئت الى هنا. تصورت انك...»

اختنق صوتها لحظة ثم تابعت تقول:

«كنت اعتقد اني سأواجه رجلاً خجولاً ومعقداً غير قادر ان يجد بنفسه زوجة له. لكن، في الوقت الحاضر، بدأت ادرك ان جدك وصفك لي بطريقة خيالية ولا شيء مما قاله يوازي الحقيقة. وحتى لا يصار الى سوء تفاهم، لن اتزوجك، يا سيد حتى ولو اضطررت ان اموت جوعا.»

اصابته في غطرسته وتفاخره، فراح يرمقها بنظرات احتقار وغضب. وباحتراز ابتعدت عنه وتوجهت نحو النافذة وقالت:

«والآن، اخرج من الغرفة من فضلك.»

حيره تصرف الفتاة المتعالي فاقترب منها بارتباك وامسكها من ذراعها بعنف.
تمالكت نفسها لئلا تصرخ فأرغمها على الالتفات اليه وقال:
«اتساءل ما الذي جعلك تقررين المجيء الى هنا. انت فتاة جميلة ويمكنك ان تثيري اعجاب الرجال بك، لذلك فأنا اكيد انك لم تأت الى هنا لأنك لم تجدي رجلاً يحبك ويريدك زوجة له. هل قدم لك الكونت مبلغاً كبيراً من المال؟ آه، اذن هذا هوالسبب.»
افلت يدها بسرعة وغضب توجه نحو باب الغرفة. توقف هناك واعلن بصوت قاطع مليء باحتقار مر قائلا:
«بما ان جدي هو الذي اشتراك فسيفعل بك كما يريد. لم يعد لي دخل بذلك. لكن يا آنسة، اذا اردت نصيحتي، ارحلي في اسرع وقت ممكن. لم نعد بحاجة اليك هنا.»
اجتاز عتبة الباب عندما بدأ صراخ ويندي يعلو من الغرفة المجاورة، فأسرعت ليندا اليها لأن الطفلة كانت وحدها وبيللا المربية تتناول الطعام باتفاق مع ليندا. ولما وصلت الى سرير ويندي، توقف البكاء وبدأت الطفلة تبتسم بفرح.
فقالت لها ليندا بحنان:

«يا ايتها الفتاة المدللة، اذا بقيت اعاملك هكذا ستصبحين فتاة مدللة فوق اللزوم.»
سمعت صوتاً وراءها، داخل الغرفة غير المضاءة، فتذكرت للحال انها لم تكن وحدها.
«لمن هذه الطفلة.»
كانت ليندا تدور حول نفسها حاملة ويندي بين ذراعيها.
اجابته بهدوء وافية بوعدها الذي قطعته امام دون ادريانو:
«هذه الطفلة لي.»
قال غير مصدق:
«لك؟»
«نعم. لي.»
فرحت ليندا لدى رؤيتها الدهشة العميقة التي ارتسمت على وجه ماريو دي فالديفيا، الذي قال:
«ووالدها، اين ؟»
من دون اضطراب، قالت بلهجة عادية لا يمكنه ان يشك بصدقها:
«والدها مات.»
القى نظرة سريعة الى يد ليندا اليسرى، فلم تكن ترتدي محبس الزواج ولم تكن تأبه بما سيفكره عنها.

لم تكن تود سوى شيء واحد وهو ان تتخلص من هذا الرجل العدائي.

في فضول انحنى نحو ويندي ذات العينين الزرقاوين الصافيتين. فمدت له ذراعيها منتظرة ان يحملها. بدا مرتبكا الى درجة جعلت ليندا تشهق ضاحكة. لكنها سرعان ما وضعت الطفلة في مهدها وقالت:

«عليك ان تنامي، يا صغيرتي. لا، لا تجلسي.»

قبلتها ليندا وقالت:

«تصبحين على خير يا حبيبتي.»

اشارت لماريو دي فالديفيا ان يخرج وراءها من الغرفة قبل ان تغلق الباب الذي يصل الغرفتين.

فقال الرجل بشراسة:

«هل جاء معك احد غير هذه الطفلة؟»

اجابت بصراحة بعد ان فوجئت قليلا:

«كلا. بالنسبة الى ويندي والي، حيثما نكون نحن معا، يكون منزلنا.»

ملأ وجه ليندا استرخاء كبير. رمقها بنظرة غاضبة وعضلات فمه ترتجف بقوة كأنه يحاول ان يقاوم شرا مؤذيا. فقال:

«هذا العجوز محتال لكن، بالرغم من هذه الظروف،لن اغير رأيي.»

لم يتسن لها الوقت لتسأله عن تفسير وايضاح.

فقد اسرع نحو الباب وخرج الى الممر بخطوات واسعة تعبر عن غضبه. ولم تعد تسمع الا خشخشة المهماز.

www.rewity.com

الفصل الخامس

فجأة، دق الجرس معلناً موعد العشاء. تمالكت ليندا نفسها لئلا تهرب. في الحقيقة، لم تعد تنوي البقاء هنا في المزرعة، غير ان مواجهة صريحة مع الكونت دون ادريانو اصبحت مهمة حتمية ولا مفر منها. عليه الآن ان يشرح لها الامور بوضوح، وان يتصرف بنبل ويقدم اليها اعتذاره، لأنه رسم لها صورة كاذبة عن حفيده، بعيدة كلياً عن الحقيقة والواقع.

هبطت السلالم بسرعة وعصبية. ولما وصلت امام باب الصالون توقفت مترددة، ثم استجمعت قواها وكل ما تبقى لها من شجاعة وقررت ان تفتح الباب وتدخل قاعة الاستقبال.

فوجئت بوجود دون ادريانو وحده. كان مستغرقاً في افكاره يحدق بكآبة. ولما دخلت القاعة، وقف يستقبلها. لم تلمح في وجهه اي اشارات للندم او تأنيب الضمير.

«انت رائعة حقاً. لي الشرف ان ارحب بك في بيتي واكرمك على مائدتي. من زمن بعيد لم تدخل منزلنا فتاة جميلة مثلك.»

تغيرت تعابيره ليندا وخشيت ان تخور عزيمتها

وتتخلى عن تصميمها الذي قطعته على نفسها برفض الزواج من حفيده، مهما كلف الامر.

«هذا لطف منك يا سيدي. غير انه عليك ان تسامحني اذا قلت لك ان هذه المجاملات وهذا الافراط في المديح الذي تنعم به عليّ، يبدو لي عديم الجدوى مثل بعض تصريحاتك الاخيرة.»

عدل جلسته وتوارى التغضن المرير عن وجهه واعلن بصراحة:

«نعم عليّ الاعتذار منك. ربما كان اخفاء الخطر اخطر من الكذب المتعمد. لكن بانتظار المناقشة بكل هذا، اسمحي لي ان اقدم لك شرابا منعشا. بامكاننا ان نتناول العشاء بعد قليل. لأنه اذا وجدت نفسك في ارتياح واسترخاء، ستتذوقينه افضل.»

قبلت أن تتبعه الى المقعد حيث جلست ونظراتها المليئة بالخوف كانت منجذبة تلقائياً نحو الباب. عرف دون ادريانو ما يدور في خلدها فهمس يقول:

«استرخي يا آنسة. حفيدي ليس في المزرعة مساء اليوم. ذهب الى المدينة برفقة بعض الرعاة. ولن يعودوا قبل الفجر وستسمعين ضجتهم الاعتيادية اذا لم يكن نومك عميقاً.»

شعرت ليندا بارتياح واسترخت في مقعدها وبين

الوسائد المحيطة بها. فابتسم دون ادريانو لردة فعلها وقال:

«اذن، لقد اتيحت لك فرصة لقاء حفيدي.»

اعترتها قشعريرة باردة وقالت:

«ما حدث بيننا لم يكن ما تسميه باللقاء. لقد احتجزني وومني للحال كما تفعلون بالماشية.»

كان دون ادريانو منهمكا في تحضير الشراب الذي رفضته، فقاطعها فجأة وردد وهو مقطب الحاجبين:

«وسمك؟»

«وسمني مثل اي امرأة سلعة. وبرأي حفيدك، انا امرأة لا مكان لها هنا، ومصيرها متعلق بمن اشتراها، يعني انت، ايها الكونت.»

قال بغضب:

«لو كان ما يزال صبياً، لعاقبته على هذا الكلام البذيء.»

«لكنه لم يعد صبياً. الظاهر انه على حق. ان تختار بنفسك امرأة لتزوجها من حفيدك الخجول والمرتاب، ليس هذا العمل بعيداً عن الخيال. لكن حفيدك يدعى ماريو دي فالديفيا، وليس ذلك الرجل الخجول والمرتاب! لا يمكنك ان تجهل ان مبادرتك هذه ستجعله يغضب بعنف؟»

جلس قربها واكتفى باطلاق زفرة عميقة. لا شك

انه نادم على ما فعله. لكن على ماذا هو نادم بالتحديد؟ على فشل مخططه، ام على الضرر الذي ألحقه بحفيده وبها؟

قال بلهجة متوسلة:

«اذا قبلت سماع ما سأقوله، سترين ان تصرفي هو اقل انانية مما كنت تتصورين.»

«وما الفائدة بعد الآن؟ بعدما باح به حفيدك، اصبح كل شيء واضحا. انت مربي ماشية معروف ولا احد ينكر نجاحك الباهر في هذا المجال. لكنك توصلت الى الاقتناع انه بامكانك تحقيق تجاربك على الكائن البشري. وشيئاً فشيئاً توصلت الى مشروعك وهو ان تحقق اتحادا كاملا لزوجين مثاليين. غير انك بذلك ارتكبت خطأ جسيما، فيما يتعلق بنا. دون ماريو رجل غليظ وفظ. واذا كان هذا غير كاف، فانه يرجع كل شيء اليه. وهذا ما اكده اكثر من اي شيء آخر.»

لمع بريق في نظرات دون ادريانو وارتسمت ابتسامة صغيرة على وجهه. فوجئت ليندا بردة فعله وانزعجت بعض الشيء، ونهضت مسرعة، لكنه مد اليها يده واعلن بلهجة هادئة قائلا:

«سامحيني، يا عزيزتي، لكن سبق وسمعت هذا الكلام من قبل، وبالحماس والصدق نفسهما. ذلك ان المرأة التي اصبحت كنتي كانت تتكلم

WWW.REWAYAT.COM

مثلك تماماً. وبالنسبة اليها، عليّ ان اقول صراحة اني احتجزتها في المزرعة بنية تزويجها ابني. ستقولين اني ما زلت في الهاجس نفسه. وابني كان رجلاً ذا طباع غريبة. لا يمكن قهره بسهولة، ولا يختلف عن حفيدي الذي شاهدته اليوم. كان يفضل العمل برفقة الرعاة وكان يحسدهم على حريتهم، ولم يكن هو الذي يتحمل مسؤولية ادارة وحراثة هذا المشروع الكبير، الذي اعتبره دويلة كبيرة داخل دولة. كل المسؤوليات والهموم والاعباء التي تنبثق عن هذا الثقل اتحملها وحدي انا! وكان هناك العديد من الفتيات من العائلات الرفيعة اللواتي كن يتمنين الزواج منه. لكنه لم يكن مباليا الا الى النساء الأقل احتراما، اللواتي يعملن في حانات المدينة. وهذا ينطبق الآن على حفيدي واصدقائه.»

ران صمت طويل ثم تابع يقول:

«لم اختر هذه الفتاة بنفسي. لقد وصلت الى هنا بطريق الصدفة، لكن، يجب ان اعترف لك انني منذ رأيتها، خطرت ببالي فكرة. واردت ان انفذها بتسهيل اللقاء بينهما الى ابعد حد. في البداية كانت اللقاءات تتم في مناخ عدائي. لكني فرحت كثيراً عندما علمت ان العلاقة بينهما بدأت تتوطد تدريجيا. وكما توقعت، اخذا يشعران تجاه

بعضهما البعض بالحنان الذي تحول فيما بعد الى حب كبير، وبالتالي تغير طبع ابني بشكل كلي. وعرفا معا سعادة كبيرة يا آنسة. ولا يمكنني ان اعبر لك بالكلمات ما شعرت به عندما علمت بالمأساة. لذلك ارغب من كل قلبي ان يقدم ماريو، ثمرة هذا الحب، على زواج سعيد وان يسعد مثل والده. هذه هي امنيتي الوحيدة، لا يمكنك ان تلوميني ان اقدمت على تحقيق هذه الامنية.»

اقتربت ليندا من المدفأة وانحنت صوب النار المتوهجة التي انعكست على وجهها حيث ظهر تشوش عميق وارتباك وحيرة. انها تشعر نحوه بالشفقة، لأنه يعتبر نفسه ذلك الحاكم المستبد بمملكته الصغيرة ومقتنع بقوته اللامتناهية. كان الامر مضحكا ومؤسفا في الوقت نفسه. الكونت دون ادريانو، مسؤول المزارعين، سيتقاعد آملا ان تصبح هي ملكة المزرعة. فشعرت بالتواء ساخر ومر في فمها، غير ان ملامح وجهها حافظت على الوقار والرصانة عندما التفتت الى العجوز الذي كان جالسا في مقعده منحنيا الى الامام ويده على ذقنه. لم تكن تريد ان تجرح شعوره، فأعلنت بلهجة متزنة قائلة:

«آسفة سيدي، لكنني غير قادرة على قبول ترتيباتك.»

هز رأسه احتجاجا فأضافت في الحال بحزم كبير:

«نعم انها ترتيبات. كل إنسان حر ان يتصرف بحياته كما يرى مناسباً ان كان هذا الانسان حفيدك ام اي شخص آخر. انا متأكدة باقتناع انك لا تفعل ذلك بأنانية وانك تتمنى بكل اخلاص سعادة ماريو، لكن...»

توقفت لحظة ورمقت العجوز بنظرة صافية وسألته:

«هل فكرت بأن النجاح الذي احرزته في ما يتعلق بابنك كان مجرد حظ، وان هذا النوع من التجارب لا يمكنه ان يؤدي الى النتيجة نفسها؟»

لم يعد يحتمل الشك بقدرته فقال بغضب شديد:

«الطبيعة الانسانية لا تتغير، الاجيال تتلاحق والسنوات تمر والانسان ما زال ينقل الى نسله الطباع والعادات والفضائل والعيوب نفسها. في عروقي يجري دم الغزاة الاول. فقد ورثت عنهم حب المغامرة، وكراهية الخوف والانانية والعنفوان. وكان ابني يتمتع بهذه الصفات واليوم اراها عند حفيدي. ولهذا السبب افهم تصرفاته تماما. ان ردات فعله تشبه ردات فعلي، ولهذا السبب انا متأكد ان ما اقدمت عليه ليس خاطئا ولا يقبل بالفشل.»

قالت ليندا بهدوء وهي تضم بشدة يديها المرتجفتين على بعضهما:

«لكن ما حدث يؤكد استحالة مهمتك، مخططك باء بالفشل لأنك نسيتني بكل بساطة، وانا ما ازال موجودة، من دوني، لا يمكنك ان تحقق اهدافك، اني ارفض الاشتراك في هذه الترتيبات وآمل ان تعفيني من تحقيق العهد الذي قطعته. اتمنى العودة الى بلادي بأسرع وقت ممكن. ولا سبب لأن ارى حفيدك بعد الآن.»

وضع دون ادريانو كوب العصير على الطاولة بهدوء، ثم اقترب منها بتعال، فتهيأ لها انها خادمة إمام معلمها وكادت ان تحني رأسها خضوعا. كان ينظر اليها بتفصيل يقيسها مطولا ثم قال بلهجة باردة ومراعية:

«اخشى ان يكون ما تتمنيه مستحيلا. اذكرك بأنه سبق وعقدنا صفقة لا مجال للتراجع عنها. هذه الملابس التي ترتدينها، وهذا المنزل الذي تسكنينه، انت واختك، دليل قاطع، ويحق لي ان انتظر منك امتثالا وطواعية.»

توقف لحظة ثم اضاف:

«وكما لاحظت فالمزرعة مقطوعة عن العالم. اذن، لا مجال ان تأملي في الهروب والرحيل. انها اضاعة للوقت. كي تخرجي من هنا عليك

WWW.REWITAR.COM

ان تأخذي الطائرة. وتلك التي نحن نملكها لن اضعها تحت تصرفك. عليك اذا ان تبقي هنا، شئت ام ابيت.»

اطلقت نواحاً عميقاً وشحب وجهها وقالت بغضب:

«بامكانك ان تعتبرني سجينة لديك، لكنك لن تتوصل ابدا لأن تجعلني اتزوج حفيدك بالقوة.»

اجاب دون ادريانو من دون اضطراب كأن شيئاً لم يكن:

«في البداية، المرأة التي جاءت قبلك كانت تفعل مثلك في جميع تصرفاتها. وردة فعلك هذه لا يمكنها الا ان تؤكد لي نجاح مهمتي. ولذلك انا مسرور جدا.»

القمر يلقي اشعته على سرير ليندا حيث ارتمت منذ ساعات بعدما هرعت راكضة من قاعة الاستقبال، حانقة على دون ادريانو وخائبة لحظها السيء. فقرار الكونت الذي لا رجوع عنه وضعها في حالة حزن وكآبة. والآن تعتبر هذا المنزل سجنا وهذه الغرفة زنزانة حيث بامكانها ان تتأسف على مصيرها وتندم.

شدت على معصميها وانزلقت تحت الاغطية وراحت تنتحب باكية وتصرخ:

«انا مجنونة. حقا مجنونة. لماذا لم يخطر ببالي

انني بقبول هذه الصفقة، رميت نفسي في مأزق؟»

صحيح انها استعدت لقبول كل العواقب التي ستنتج عن هذا القرار، لكن الرجل الذي قبلت الزواج منه لم يظهر عن حقيقته الا اليوم.

كبتت دموعها ونهضت خارج السرير وخلعت فستانها بقسوة، هذا الفستان الذي هو هدية من دون ادريانو. وشعرت ليندا بالخجل لما فعلته برغم انها تعرف ان سبب ذلك يعود الى ويندي غير انها احست بالقرف من تصرفها.

كان ذيل قميص نومها يمسح ارض غرفتها ذهابا ايابا ثم جلست قرب النافذة وظلت مسمرة مكانها مدة طويلة كالبلهاء. فجأة سمعت خشخشة صغيرة وبعدها عم صمت عميق. ثم اقنعت نفسها بأن ما سمعته ليس سوى وهم من مخيلتها. لكنها سمعت الخشخشة نفسها مرة ثانية. فالتفتت ليندا حولها وفتحت عينيها جيدا تبحث في ظلمة الغرفة علها ترى شيئاً. فلاحظت ظلا يتحرك ويقترب منها. ارتعبت ولم تجرؤ على القيام بأي حركة. بريق معدني لفت نظرها على ضوء القمر الشحيح رأت البكلة الفضية المعلقة بالزناد الجلدي الاسود فعرفت من يكون صاحبها، واستعادت صوتها وقالت باستغراب:

www.rewity.com

«ماذا تريد؟ كيف سمحت لنفسك بالدخول الى غرفتي من دون سابق انذار، يا دون ماريو؟»
قهقه ضاحكا واقترب منها بترنح وشعرت بنفسها على وشك السقوط. وقال ساخرا:
«انا بحاجة للحديث معك. في الحقيقة، فكرت مطولا بالوضع الدقيق الذي وجدنا نفسنا فيه، واعتقد انني عثرت على حل لذلك.»
ادركت بانزعاج انه متعب. والعطر الخفيف الذي يرطب قميصه يدل على انه لم يقض الليل وحيدا.
قالت:
«انا ايضاً، اخذت قراراً نهائياً. قررت ان ارحل من هنا واريد ان تعدني بمساعدتي في العودة الى بلادي.»
امسك كتفيها بشدة. وراحت ترتعش عندما بدأت يداه تمتدان الى جسمها، لكنها ظلت جامدة رافضة ان ترجوه الا يفعل ذلك.
قال صارخا:
«هذا مستحيل! انه يشوش مخططي، اليك ما انوي فعله:سأتزوج منك، لكن عليك ألا تعتقدي اني سأفعل ذلك لأني اخضع لارادة جدي. ابداً. اريد ان القنه درساً وابرهن له ان زواجاً مدبراً بهذه الطريقة لن يؤدي الا الى الفشل، الفشل الذي سيؤلمه كثيرا. صحيح اني بزواجي سأحقق

له امنيته العزيزة على قلبه، لكن عليه بالمقابل ان يفي بوعده.»
بالكاد نطقت ليندا قائلة:
«وعد؟ اي وعد؟»
«ان يعهد الي ادارة المزرعة بكاملها. لا اريد شيئاً آخر. لقد اشتغلت كثيراً بلا هوادة لأنني اعرف ان ملكية هذه المزرعة ستكلفني عذابات شتى! واخيراً وضعني جدي امام الامر الواقع: الزواج ام خسارة المزرعة. وليس فقط الزواج انما هو الذي سيختار العروس! واذا رفضت سوف يحرمني من الميراث. لكن يا آنسة سنحتال على هذا الماكر معاً، لندعه يعتقد انه سيد الوضع. فقد اصبح عجوزا ولن تدوم سيطرته الى الابد.»
ارتعشت امام لهجته المحزنة، فأضاف يقول:
«بعد بضع سنوات، سيموت، وكل واحد منا يذهب في طريقه. لكن في الوقت الحاضر ارغب في ان نتزوج. سيكون الاحتفال شكليا ولن يربطنا اي قسم او يمين طبعا لن اغير تصرفي وبالنسبة اليك، اعتقد ان الزواج واللقب الذي ستنالينه سيكونان عزاءين كافيين. سأتجرأ وأسألك، الست زوجة سبق وعاشت من قبل خبرة الزواج، اقصد بذلك انك كنت ملكا لرجل آخر؟»
هذه الملاحظة الاخيرة كانت بالنسبة إلي ليندا

صفعة حقيقية. شعرت فجأة تجاهه بقرف وحقد وضغينة، الى درجة انها كادت ان تبوح له بحقيقة ويندي، فقط من اجل ان يعتذر عن هذه التهمة والشتيمة. غير ان غريزتها نبهتها الا تقدم على فعل كهذا. وتبين لها بوضوح ان دون ماريو لا يمكنه قبول كون زوجته قد ملكها رجل آخر قبله. ولهذا السبب، فهو يتعذب بأنانية وعنفوان لأنه سيضطر قبول ذلك ولو بصورة شكلية.

ظلت ليندا صامتة فأسرع يقول:

«اذن، ما رأيك؟ هل انت مستعدة لمساعدتي لمواجهة هذا الماكر العجوز؟»

سألته قائلة ببرود وحقد:

«ايمكنني الاختيار؟»

ظل دون ماريو مسمراً عينيه الثاقبتين في وجه الفتاة الشاحب وهو ما زال ممسكا بها. وليندا تحاول جاهدة ان تظل هادئة وغير مبالية. اطلق ضحكة ساخرة وقال:

«هذا الجمال الذي تتحلين به لا يبدد ضجري ولا يؤثر بي. في بلادنا، النساء لسن باردات، بالعكس، انهن شغوفات، حارات مضطرمات. لذلك فلا تخافي مني، بصفتي زوجك في المستقبل: لن احاول ابداً ان اتقاسم غرفتك، هل هناك اسوأ من عناق كتلة جليد؟»

وللحال ابعدها عنه بعنف، فقالت بغضب:«افهم اشمئزازك يا سيد. انا اشعر نحوك بالشعور نفسه، يؤلمني ان ارى نفسي في غرفتي بصحبة رجل مستهتر.»

اصابته في عزة نفسه وكانت ردة فعله ان حملها من دون اي جهد وجذبها نحوه بشدة قائلا واسنانه تصطك:

«آمرك ان تعتذري مني. والا ستندمين عما قلته.»

قالت وهي تتخبط للتخلص منه:

«اتركني. ابتعد عني.»

«ليس قبل ان تعتذري على ما قلته الآن.»

«وعن ماذا تريدني ان اعتذر؟ لأني قلت الحقيقة؟ لم اطلب منك ان تعتذر مني عندما شتمتني، انت الرجل النبيل.»

ابعد رأسه الى الوراء واطلق ضحكة ساخرة ومتعجرفة وقال:

«لم اعتبر نفسي ابداً رجلاً نبيلاً، هذا النوع من الرجال الضعفاء الذين يمضون معظم أوقاتهم في النوح، لا اعتقد ان هذا النوع من الرجال يعجبك، يا آنسة؟»

«اني افضل الرجال الذين لا يستعملون القوة الا بعد ان يجربوا كل وسائل الاقناع الاخرى.»

www.rewity.com

«اني افكر عكس ذلك. فالتصرف بهذه الرقة يرهق من دون جدوى. من الافضل استعمال القوة منذ البداية.»

وكي يدعم قوله، ضمها نحوه بشدة وانصب عليها بغضب بارد كأنه يريد ان يعاقبها ويحقرها. وتذكرت ليندا ما قاله في ما يخص نساء تلك البلاد، فارغمت نفسها على البقاء جامدة. وهكذا، ببرودها التام، تؤكد له رفضها الدخول في لعبته، وفي الوقت نفسه تظهر له عن كرهها واحتقارها لغلاظته.

ومن دون اظهار اي ندم، ابتعد عنها وابعدها عنه. ثم ابتعد بخطى فخورة. ولما وصل الى الباب اعلن قائلاً:

«حافظي على العناق لنفسك، ايتها الآنسة الباردة، لا اعرف اذا كان واجبي الاعجاب بذلك الرجل الذي توصل ان يجعل منك امرأة كاملة واما لطفلة، ام يجب ان اتأسف عليه.»

الفصل السادس

بعد اسبوع، بدأت الاستعدادات للاحتفال بزواج ماريو وليندا في قاعة صغيرة تابعة للمزرعة. واختصر عدد المدعوين الى الحفل بسبب قصر الوقت، فكان الحضور مؤلفاً من الاقرباء والاصدقاء المقربين.

وقام دون ادريانو بتدبير المعاملات الرسمية الضرورية. فقد فوجىء بتقلب آراء ماريو من جهة، وباصرار ليندا عليه الا يبوح لحفيده بحقيقة امر شقيقتها ويندي.

حينذاك قال صارخاً:

«ولماذا، يا صغيرتي؟ كوني انسانة طيبة وتفهميه، وانتشلي هذه الشوكة من خاصرته. لماذا لا تنقذيه من الشكوك التي تزعج خواطره وتؤلمه؟»

أجابت بجفاف:

«ليس في نيتي ان اكون طيبة معه. فأنت رفضت فك ارتباطي وارغمتني على قبول هذا الزواج. لكن هناك شرط اريد منك ان تحترمه وهو الذي يتعلق بويندي. فاذا بحت بهذا السر لن يتم الزواج.»

بالنسبة الى دون ادريانو، كان ما قالته تفصيلا لا يستحق التوقف عنده.

رأى نفسه على مقربة من تحقيق اهدافه. وغير مستعد للتوقف عند امور تافهة بامكانها ان تفسد مخططاته.

اجابها قائلاً:

«اتفقنا. ما دمتِ مصرة على ذلك.»

حك ذقنه مفكراً، وسرعان ما انارت الابتسامة وجهه وقال:

«ربما تصلين الى تحقيق اهدافك، اذ مازلت تصرين على هذا الشرط. انت امرأة ذكية وأنا لست بغبي. فماريو بحاجة الى عذر متين كي يقبل بالزواج. هل احس بالشفقة نحوك؟ ام انه شعر بانجذاب باطني من دون ان يعي ذلك؟ هذا ما اجهله. على كل حال انا مستعد ان ارتكز على حدسك كي اضرم عواطفه واوقظ عنده المشاعر الودية. نعم، يا عزيزتي، حافظي على هذا السر مهما كلف الامر وبجميع الطرق، فآلِ فالديفيا يتميزون بحب التملك والغيرة، وخصوصاً الرجال. بوجود شقيقتك الصغيرة سيظل يتذكر باستمرار انك كنت في الماضي ملكاً لرجل آخر.»

وبينما كانت ليندا ترتدي ثوبها المخرم، حالمة مترددة، ايقنت بأنها ستغدو رمزاً لتلك المرأة التي سبق لها ان تزوجت من قبل وهي الآن على استعداد لخوض هذه المغامرة مرة اخرى. ورددت

في ذهنها وهي تقول:أليس هذا ما كان يقصده دون ادريانو؟

ولحفل الزواج اختارت ليندا ثوباً ابيض واسعا مبطنا بالحرير، اظهرت اكمامه الشفافة بشرتها المخملية الناعمة. ورفعت شعرها الاشقر الطويل جدائل بشكل تاج ذهبي، وزينتها بالزهور البيضاء التي خففت من رصانة تسريحتها. لكن عينيها الكئيبتين وملامحها المشدودة وشحوب وجهها كانت كلها تعبر عن خوف أليم وحذر عميق. فلم تغادر غرفتها منذ الصباح. ومن النافذة المفتوحة كانت تسمع أصوات المدعوين الذين قصدوا المزرعة من بعيد، معظمهم استقلوا الطائرات.

كان المنزل يعج بالناس والاصوات ترتفع. لكن ليندا تملكها الحذر ولم تغامر بالظهور امام المدعوين، لأنها تعرف جيدا انها ستكون نقطة اهتمام الحضور. كما كانت متمسكة بقول قديم مفاده ان لقاء الخطيب مباشرة قبل حفل الزواج لا يجلب الحظ.

بعد قليل دوت اصوات محركات السيارات المتجمعة تحت الشرفة وتوجه المدعوون الى قاعة القرية. شعرت ليندا بتقلص مؤلم في معدتها. فلم تتناول سوى الطعام الخفيف وبعض القهوة، برغم تحذيرات الخادمة. ومع آخر سيارة تبتعد

عن المزرعة، احست ليندا فجأة بضعف فاستندت على ظهر كرسي بجانبها. وفجأة سمعت طرقا على الباب فراح قلبها يخفق بسرعة. وبعد لحظات قالت متلعثمة:

«ادخل.»

ظهرت كارمين الخادمة، حمراء الوجه، كثيرة الحماس. وسلمتها قطعة قماش طويلة من الدانتيل الكريمي اللون وقالت:

«الطرحة يا سيدتي. سبق وارتدتها من قبل كل العرائس اللواتي ينتمين الى عائلة فالديفيا.»

فرجعت ليندا الى الوراء بشدة وقالت:

«لا، شكرا. لن احتاج اليها.»

فتحت كارمين عينيها السوداوين متعجبة وقالت بغضب:

«لكن، يجب على العروس ان تصون وجهها وتحميه من نظرات المتطفلين. الم تري كيف تسرح عندنا النساء شعرهن وكم هن انيقات.»

وضعت كارمين الطرحة على رأس ليندا من دون ان تترك لها مجال الاعتراض ثم سوت اطرافها المطرزة فوق الخدين الشاحبين وصرخت:

«رائعة انت هكذا. هل اعجبتك؟»

قالت ليندا:

«نعم انها طرحة جميلة. لكن ألن يفاجأ دون ادريانو

برؤيتي اعتمر هذه الطرحة الناعمة والثمينة؟»

هزت كارمين رأسها بحماس وقالت:

«لن يرفض الكونت شيئا لزوجة حفيده الجميلة.»

الزوجة الجميلة! اغتمّ قلبها وتحسرت. فأضافت الخادمة المتألقة تقول:

«الكونت ينتظرك. لم يبق احد هنا غيرنا.»

سألتها ليندا بصوت مخنوق:

«ودون ماريو، اين هو؟»

قالت كارمين وهي تكبت ضحكتها:

«في القاعة من دون شك. لا شك انه في انتظارك بفارغ الصبر. امامك دقائق معدودة. لنرحل الآن.»

هبطت ليندا السلالم ببطء وقدماها ترتجفان. وظلت متمسكة بالدرابزين لئلا تقع او تفقد توازنها. المنزل كان خاليا كليا والجو مازال يعبق برائحة السجائر وعطور النساء.

كان دون ادريانو ينتظر بهدوء داخل الصالون. وما ان سمع وقع خطوات الفتاة حتى التفت الى الوراء واعلن بلهجة دافئة:

«انت حقا رائعة، يا عزيزتي. وجميع اصدقاء ماريو سيحسدونه عليك.»

جذبها نحو النافذة. امامهما تمتد الحديقة المشعة بالشمس الحارة. تركها الكونت هناك بضع دقائق

وراح يفتش في درج مكتبه. فارتعبت ليندا عندما سمعت صوت دون ادريانو يقول:

«هذه هدية العرس. وسأسر لو تفضلت ووضعته خلال حفل الزواج.»

فتح العلبة واخرج منها عقداً من اللؤلؤ ودعاها للاقتراب نحو المرآة.

قالت بصوت حيادي:

«اشكرك. انه لشيء رائع. لكن بما انك الآن على وشك تحقيق امنيتك العزيزة لم تعد بحاجة لأن تقدم لي الهدايا الثمينة. لقد اعطيتني مسكنا، لي ولويندي، ولا اريد اكثر من هذا.»

كان في الوقت الحاضر مستعداً لان ينسى كل شيء. لكن ما قالته الآن ذكره بالصفقة فقطب حاجبيه وقال:

«ارجوك ان تقبلي هذه الهدية التي ليست سوى شكر وعرفان بالجميل من قبل رجل عجوز سعيد ان يستقبلك داخل عائلته وان يجعلك واحدة منها. ولهذا ارغب منك ان تناديني اوبوليتو، ما دمت ستصبحين بعد لحظات قصيرة زوجة حفيدي. ويشرفني اذا اعتبرتني جدك، انت ووينديي. وعليّ ان اقول لك من دون مواربة، بأن ويندي لفتت انظار ومودة الجميع، بأقل من اسبوع.»

ابتسامة عابرة مرت على شفتي ليندا. في الحقيقة،

لقد تهافت على ويندي المعجبون الشغفون الذين احاطوها بالاهتمام التام، وهي فهمت بطريقة سرية انها ستبقى في المزرعة بصورة دائمة. وكان دون ادريانو يغتنم الفرص ليأخذ الطفلة بين ذراعيه ويكلمها. والخادمتان كارمين وبيللا تلبيان رغباتها وجميع نزواتها. بينما كان ماريو يرد على مبادراتها بابتسامة بطيئة.

وكلما تواجد ماريو بجوارها، لا تعود الطفلة تهتم الا به وتظل ترمقه بعينيها الواسعتين الزرقاوين. وكانت ترسل اليه القبلات بالحاح تجعله مضطر ان يرد عليها بالمثل او ان يهز لها رأسه هو الذي لم يتعود على وجود اطفال بقربه. غير ان ليندا لاحظته مرة من دون معرفته بينما كان يلاعب ويندي بالطابة. وبنهاية اللعب راح يداعبها بلطف وحنان ويلامسها تحت الذقن حتى كادت الطفلة تقهقه من شدة الضحك.

اصر دون ماريو على ان تحضر ويندي حفل الزواج. فاصطحبتها الخادمة قبل موعد الاحتفال بعشر دقائق.

كانت ترتدي فستانا ناعما من الازرق الفاتح يليق بلون عينيها، وشريطة زرقاء تزين خصلات شعرها.

«تعالي يا عزيزتي، حان لنا الوقت للذهاب.»

فجأة افاقت ليندا من احلام اليقظة لكن دون ادريانو اضاف قائلا:

«اني في غاية الامتنان لأن اسمح لنفسي ان احل، في هذا اليوم، مكان والدك الذي فقدته منذ فترة وجيزة.»

تلألأت الدموع في عينيها، لكنها تمكنت من السيطرة على انفعالها. انها تخضع لسحر هذا الرجل العجوز، لكن عليها ان تتذكر باستمرار قساوته نحوها. كان عليها ان تشعر بالغضب نحوه، لكن في هذه اللحظة بالذات لم تكن تشعر لا بالحقد ولا بالمرارة.

خرجا الى الشرفة ومن هناك توجها نحو السيارة. في هذا الوقت اسرعت ويندي نحو ليندا وعيناها مبللتان، فضمتها كارمين اليها في عاطفة كبيرة وقبلتها على الخدين وهمست لها ببعض الكلمات باللغة الاسبانية. فهذا التصرف الاموي من قبل الخادمة جعل ليندا تضطرب بعمق. لكم كانت ليندا تتمنى ان تكون والدتها على قيد الحياة وتكون بجانبها في هذا اليوم التاريخي. فاحتلها انفعال قوي واندفعت الدموع من عينيها. وفكر دون ادريانو وهو ينظر إليها، ان عينيها الزرقاوين الجميلتين قد تعكرتا، مثل بحيرة حين تعصف الريح وتبدأ العاصفة.

قدم لها منديلا، لكن العاصفة لم تهدأ فاضطر ان يذكرها قائلا:

«المدعوون بانتظارنا، يا عزيزتي وكذلك ماريو. والصبر ليس من فضائله.»

استقامت ليندا ورفعت ذقنها بشجاعة وقالت بصوت غير مطمئن:

«المعذرة. اني مستعدة الآن.»

اعجب دون ادريانو بقوة ارادتها واعترف في داخله ان الفتاة تتمتع بذكاء وجرأة.

ظلت كارمين تلوح بذراعها حتى اختفت السيارة عن الانظار. ثم صعدت السلالم المؤدية الى الشرفة المزينة بأناقة لهذه المناسبة. كان عليها ان تبقى في المنزل كي تشرف على تحضير مأدبة الغداء الذي سيقدم للمدعوين.

وفي طريقها الى القاعة لاحظت ليندا وجود الشرائط الملونة المصنوعة من الورق، معلقة بين الاشجار. في المساء كان العشاء الفاخر سيعيد للرعاة وعائلاتهم وسيتم هناك تحت هذه الزينة.

قال دون ادريانو بغية تشجيع الفتاة:

«ستحبين القاعة الصغيرة، يا عزيزتي. فقد بناها اسلافنا ودخلها العرسان بفرح كبير وانا اراكما،انت وماريو، تمارسان هذا التقليد.»

في لحظة، كادت ان تضحك منه لانه بدأ يعتبر

هذا الزواج حقيقي. لا شك انه يأمل، على المدى الطويل، ان تتحقق هواجسه واوهامه.

فجأة دوت الاصوات من جميع الجهات وظهر الفرسان من وراء غيمة غبار كثيفة واحاطوا السيارة. كانوا يطلقون الصياح ويشبهون الدراويش المولولين. وفي صفوف مشدودة جاء الرعاة ليؤلفوا الموكب. كانوا يرتدون معاطف البانشو الملونة وينتعلون الاحذية العالية ذات الاكعاب المرتفعة والمزينة بالمهاميز المحيكة باليد. وفي ملامح وجوههم النحيلة التي لوحتها الشمس التعبير اللامبالي والوقح نفسه. وصلوا الى اسفل السلالم التي تؤدي الى القاعة وظلوا يطلقون صياحهم الثاقب.

وعندما ترجلت ليندا من السيارة، خلعوا قبعاتهم العريضة في تحية ساخرة. فهزت الفتاة بخجل رأسها، ثم دخلت الى القاعة متأبطة ذراع ادريانو، وراح الارغن يعزف مقطوعة رائعة. وفي خطى بطيئة توجها الى حيث كان ماريو بانتظارهما. كادت ليندا ان تتجاهله بثيابه الغريبة لكن ملامح وجهه النبيلة تعبر عن رصانة غير اعتيادية.

لعبت ليندا دورها بغاية الكمال وكأنها في حلم. وبالكاد شاهدت الزينة الفاخرة والجمهور الغفير على المقاعد والكراسي. الرجال يقفون باعتزاز

قرب زوجاتهم اللواتي يرتدين الملابس الانيقة والفاخرة.

كان شبح ليندا النحيل تغمره اشعة الشمس الملونة التي تتسرب من خلال الزجاج، وبهدوء ظاهري، لفظت قسمها بصوت صارم ومن دون انفعال، لم ترتجف ولم ترتعش، عندما ردد ماريو برباطة جأشه واتزان الكلمات قائلاً:

«اني اقسم لك بالاخلاص والحماية والحب حتى يفرقنا الموت.»

اطلقت زفرة عميقة. ليس ما يقوله سوى كذبة صغيرة. لأن موتاً آخر، موت دون ادريانو، هو الذي سيجعلهما احراراً من جديد. فهي لا تشك بأن دون ماريو سيفي بوعده بالحاح وسرعة.

انغلقت يد ماريو الطويلة والقاسية على يد ليندا وادخل خاتم الزواج في اصبع يدها اليسرى. فارتعشت رموش عينيها وتشابكت نظراتهما ولمحت ليندا في نظرته لمعاناً ساخراً، فحولت عينيها بسرعة.

اقترب دون ادريانو ليقبلهما. ولم تنتبه الا في هذه اللحظة بالذات ان مراسم الزواج اشرفت على نهايتها. فاسترخت قليلا.

بينما كانت خارجة من القاعة متأبطة ذراع زوجها، راحت تبتسم للمدعوين. وما ان اصبحت

في الخارج، حتى ارتفع صراخ التهنئة وسطعت اشعة الشمس البراقة، فلم تمنع نفسها من اغماض عينيها على جفنين مرتعشين، وبينما كانا يهبطان السلالم راح الناس يمطرونها بالورود والزهور المختلفة.

ضحك ماريو ودفع بليندا نحو السيارة. لكن زوجات الرعاة ابدين اصرارا على رؤية العروس من قريب فتجمهرن وراءها. واذا بماريو يحملها ويدفعها داخل السيارة. احمرت وجنتا ليندا مما زاد في حماس الجمهور الذي صرخ يقول:

«قبلها، قبلها.»

وبالفعل اطاع ماريو. فاخرج زوجته من السيارة واوقفها بقسوة افقدتها توازنها. ثم امسكها بعنقها وجذبها نحوه وقبلها ثم دفعها داخل السيارة من جديد ودخل وراءها. وتمكن بصعوبة من اغلاق الباب بسبب الناس الذين تجمعوا حولهما.

اقلعت السيارة وافاقت ليندا من الارتباك والخجل من جراء هذه القبلة وحدقت بعيني ماريو السوداوين وصرخت تقول:

«ليس في الصفقة التي عقدناها ما يسمح لك ان تتصرف على هذا النحو، ان تعاملني كالفتيات اللواتي تمضي معهن بعض الوقت في الحانات في المدينة. كيف تجرؤ على ذلك؟»

اختفت ابتسامة ماريو وقال بجفاف: «بدأت تذكرينني بتلك الزوجات اللواتي لا يكففن عن التذمر. الى هذا، اننا لم نعقد اي صفقة. لقد طلبت مني ان اتزوجك.»

واضاف قائلا:

«لقد قلت لك انك ستتزوجينني. غير اني اعترفت ان لديك بعض الحقوق بصفتك زوجتي. اذا كان خروجي الى المدينة برفقة النساء يزعجك فإني مستعد ان اتخلى عن ذلك. على كل حال، لم يعد هناك اي سبب كي اتمادى في هذا. تبدأ الهموم مع الزواج. لكن العزوبية لا تجلب الفرح. والآن، بما اننا متزوجان، فمن واجبك ان تخففي عني هذا الحمل.»

بعد قليل راح العروسان يستقبلان المدعوين على مدخل الصالون.

كان الفضول يحتلهم فراحوا يراقبون العروسين خفية ويتلفظون بالملاحظات الخاطفة بأصوات منخفضة ولدهشة ليندا اقترب ماريو من بيللا وامرها قائلا:

«اذهبي وانضمي الى اصدقائك وتمتعي بوجودك معهم مدة ساعة. وسنهتم نحن بالطفلة.»

حمل ويندي بين ذراعيه وفي الحال اشرقت عينا الطفلة الزرقاوين وراحت تبتسم وتلامس بيديها

خدي ماريو السمراوين. ولشدة دهشتها رأت ليندا زوجها يتجاوب مع اهتمام اختها الملح وخلال لحظات قصيرة تغيرت ملامح ماريو. فمه القاسي ونظرته الساخرة ورصانته المتعالية، كلها امتلأت بحنان كبير. فشعرت بارتباك لم تصدق ان هذا الرجل الفظ والعنيف والحازم بامكانه ان يتمتع بهذا الحنان وهذه النبرة اللطيفة.

ولما بدأت ويندي تلعب بشعره الاسود المشعث، راح ماريو يقهقه ضاحكا بصوت مرتفع مما لفت نظر الحضور كله. وفي هذا الوقت بالذات دخل دون ادريانو الى الغرفة متأبطا ذراع امرأة عجوز ذات شعر ابيض كالثلج وقوام نحيل. كانت ملامحها متعالية ومتحفظة ومتشامخة، مما يدل على انها تنتمي الى بيئة اجتماعية كالتي ينتمي اليها رفيقها. وتدريجيا عم الصمت في المكان. كل انسان حبس انفاسه. شعرت ليندا باضطراب داخلي وتوتر عميقين واستعدت لتحمل هذا اللقاء.

تقدمت المرأة العجوز المتكئة على عكازها من العروسين بخطى ثقيلة وتوقفت قربها. فبدأ دون ادريانو بتقديم العروس والطفلة، لكنها ردعته بحركة سريعة وقالت بلهجة متحدية:

«ها انت يا ماريو تتحمل اعباء عائلة بكاملها،

زوجة وطفلة. يتهيأ لي لدى رؤياك ان هذه الطفلة ابنتك.»

ضحك الحضور وامتلأ وجه ليندا بالاحمرار. لكن ماريو لم تبد عليه الصدمة. فملامح وجهه مسترخية ووجهه بشوش ومرتاح. انحنى بسخرية واجابها من دون اي اضطراب:

«هذا النوع من الحدس يظهر في محله، يا عمتي ايزابيللا.»

حاولت ليندا كل جهدها ان تكبت استغرابها. فرد دون ماريو الوقح لا شك يتجاوب مع شكوك المدعوين بأن ويندي هي حقا ابنة ماريو. وان هذا الاخير، هذا الرجل الشريف، يتحمل كل مسؤولياته في هذا النهار التاريخي.

حينذئذ فقط فهمت ليندا بوضوح خطة ماريو. بزواجه منها، فهو يريد تمويه ماضيه وبالتالي لن يعود مضطرا لتحمل شفقة الناس الذين يشعرون، عادة بالشفقة لمن يقبل تحمل عبء طفلة من رجل آخر.

حتى عمة ماريو ذات العينين السوداوين الحادتين انخدعت فراحت تنظر اليه بفضول الى ان ارتسمت الابتسامة على شفتيها وقالت بهدوء:

«سامحني يا صغيري وقدم لي زوجتك.»

وخلال الساعات التالية تهيأ لليندا ان هذه

المجموعة الصغيرة المتعلقة بالقيم التقليدية كانت تنظر اليها بعطف وتسامح. كما ان كلمات ماريو بدت كأنها الاعتراف الواضح المطلوب، وساهمت في تهديم الحاجز بينها وبين المدعووين. وبينما كان العروسان يتحركان بين المدعوين، اسرع احدهم بالقول:

«افهم الآن لماذا كنت كتوماً في ما يتعلق بغيابك، السنة الفائتة يا ماريو! وصدقنا ما كنت تقوله انك كنت تقضي اجازة ترفيهية لا اكثر لاقل، لكننا نعرف الآن، يا صديقي، ماذا كنت تفعل هناك.»

خيمت الحيرة على الجميع، لكن والد هذا الرجل اسرع في تغيير الحديث وراح يتكلم عن امكانية اسواق الماشية الحالية. لكن ليندا ظلت تعاني صدمة الاهانة. فاحمر وجهها وهمست باعتذار غير واضح واخذت ويندي من ماريو وغادرت الصالون بسرعة. انزعج الحضور من تصرفها وتحلوا بالصمت.

من حسن حظها وجدت ليندا بيللا في غرفة الطفلة واوكلتها بشقيقتها. وبارتياح توجهت الى الغرفة المجاورة.

كانت تشعر بحالة قريبة من الارهاق والتعب. فخلعت طرحتها ورمتها على السرير جلست على

الكرسي المواجه لمنضدة الزينة ولمحت نظرتها في المرآة. كانت عيناها تغليان غضبا. وراحت تتمتم قائلة:

«تبا له! كيف تجرأ؟»

وقفت فجأة وراحت تخلع ثوبها ورمته ارضا، ثم ارتدت روبا اخضر وبدأت تسحب من شعرها الدبابيس العديدة حتى انسدل على كتفيها شلالات شقراء مكسوة بالازهار البيضاء العطرة. لم تسرح شعرها بل جلست امام النافذة المفتوحة ووضعت رأسها بين يديها وراحت تشتم هذا الرجل الذي تكرهه، هذا الرجل الذي عراها من عزة نفسها وكبريائها.

لكن لم تسنح لها الفرصة للحصول على هدنة. ولم يمض الا عشر دقائق حتى انفتح الباب بقوة ودخل ماريو الغرفة وقال بصوت قاطع بعد ان اخذ قراره النهائي:

«غيابك لاحظه الجميع وهم يتساءلون عن سببه. ارتدي ملابسك من جديد وبسرعة. سننزل معا الى الصالون.»

نهضت ليندا بسرعة وبتشنج وقالت بلهجة حاسمة:

«انني اقول لا بكل تأكيد. بامكان مدعويك ان يتلفظوا بما يريدونه ويعلقون كما يشاؤون. لا

يهمني ذلك! لكنني لن اعود الى الصالون وارجوك ان تتركني وحدي.»
اقترب منها بنظرة مهددة وقال:
«لا تعاندي والا اضطررت ان اضع عليك ملابسك بنفسي، لديك خمس ثوان لتقرري.»
قالت واسنانها تصطك:«لن ارضخ لمطالبك.»
امتلأت عيناها بتحد كبير واضافت تقول:
«اذا تقدمت خطوة واحدة سأبدأ بالصراخ. وماذا سيقول المدعوون؟»
«اذا صرخت سأرغمك على السكوت حتى ولو اضطررت الى استعمال الوسائل العنيفة.»
شعرت انه مصر على قراره ولن يتراجع عنه، وبالرغم من ذلك كانت تعبر عن عناد فاجأها هي بالذات. ان كبرياءها يمنعها من الاستسلام لرغبات ماريو ويقنعها بأن ماريو لن يجرؤ على تنفيذ تهديداته. فلا رجل بمركزه قادر على التصرف بقسوة من هذا النوع. رفعت في الحال ذقنها بفخر ونظرت اليه واثقة متحدية، فجأة غدرها ماريو وتمسك بالروب وشده ناجحا في خلعه عنها. ثم رماه باشمئزاز على السرير بينما كانت ليندا مصدومة من هذا العنف الرهيب. لم تقدر على اصدار اكثر من صرخة خانقة. ويدا ماريو اطبقتا على كتفيها العاريتين

كمخالب حيوان مفترس. وهمس يقول بغضب:
«ألم احذرك؟»
وجذبها نحوه. كأنه يريد معانقتها... لم يسبق لها ان شعرت مثل هذا اليوم باحساس عنيف الى هذا الحد. كأنه موجة تجرفها وتعريها من اي حكم وتحليل. لم تكن قادرة على فهم نفسها واعتبرت ان انفعالها عائد الى الكراهية والرفض اللذين تشعر بهما نحو ماريو رفع هذا الاخير رأسه وقال:
«اذن... هل سترتدين ملابسك ام سأضطر الى...؟»
تمكنت من دفعه عنها. وهو بدوره تركها فقالت وهي ترتجف:
«انت محتال! لا يكفيك انك تهينني كما فعلت، بل تصر على معاملتي مثل بنات الشارع.»
«هل تعتقدين انك مختلفة عن تلك النساء اللواتي ينتظرهن الرعاة في الحانات؟ انهن يبعن انفسهن من اجل المال، تماما مثلك. بعضهن يعترفن بذلك وهن صادقات تجاه انفسهن. لكن هناك البعض الآخر، مثلك، يتصرفن ببراءة ونعومة ظاهريا ما يجعل الرجل يشعر تجاههن بالخجل ولا يجرؤ على الاقتراب منهن الى ان يجدهن بين ذراعي رجل آخر... يتظاهرن بالنعومة البريئة،

لكنهن مقيتات واكثر وضاعة من سواهن.»
عرفت ليندا اهانات كثيرة، لكن هذه الاهانة تفوقها كلها. وفهمت انه لن يتراجع امام اي شيء ليشفي غليل انتقامه. لكنها حاولت الدفاع عن نفسها وهي ترتجف انفعالا وتقول:
«لست ابدا مثل هذه النساء اللواتي تقارنني بهن. عندما قبلت المجيء الى هنا مع جدك...»
قاطعها ماريو بجفاف قائلا:
«هذا المجنون المسكين بامكانك ان تخدعيه بسهولة اكثر مني. يعتبر نفسه كأنه يعيش في القرن الماضي. بالنسبة اليه، النساء بحاجة الى ان يدللهن الرجال ويحمونهن. لا شك انك شعرت بصدمة كبيرة عندما تبين لك انني من نوع الرجال الذين لا ينساقون بسهولة، وان الدموع لا تؤثر فيهم كما لا ينجرفون وراء حيل النساء. على اي حال، اننا نتصرف بقلة تهذيب امام مدعوينا.»
اشار باصبعه الى الفستان المرمي على الأرض. وقال بلؤم:
«اسرعي في ارتدائه. ولا داعي ان تمشطي شعرك، فلم يعد امامنا وقت.»
ابتسم بسخرية واضاف:
«عندمايرى الحضور شعرك المنسدل، سيعتقدون اني عانقتك بشغف وحماس.»

ليندا تتعذب كثيراً، وببطء حملت فستانها وبدأت بارتدائه.انها تستسلم لأنها تخشى هذا الرجل وردات فعله غير المنتظرة... هذا الرجل الاناني مثل الريح والقاسي كالنسر.
كانت تتوقع ان يدير ظهره، لكنه لم يفعل. كتف ذراعيه على صدره وراح يتأمل كل حركة تقوم بها، من دون ان يشعر بأي شفقة تجاه توترها. وفي ارتباك راحت ترتدي فستانها وتزرره بأصابع مرتجفة، مما جعلها تستغرق وقتا مضاعفا عن العادة.
ثم توجهت نحو منضدة الزينة وراحت تسرح شعرها بسرعة. لا احد بامكانه ان يرغمها على ان تبدو مشعثة الشعر امام الحضور. وفي المرآة كانت تلمح في عينيه السوداوين ملامح ساخرة ولهوا كبيراً. لكنها عندما التفتت نحوه كان تعبير وجهه غامضا.
اقترب من الطاولة الصغيرة واخذ عقد اللؤلؤ وقال:
«من الافضل لك ان ترتديه... انه مكافأة جميلة لك لقيامك بالخدمات المطلوبة. لا شك ان هذا العقد كلف العجوز اموالا طائلة.»
وضعته حول عنقها بارتجاف. لكن في اعماقها كانت غاضبة من نفسها. فاستغل ماريو

اضطرابها ليقول بوقاحة:«بصورة اجمالية، اجدك مخيبة للأمل ومشوشة. لأنه كلما اقتربت منك، تعدلين عن بعض مواقفك بنفور وتجفلين. لكن في الحقيقة هذا التصرف لا يدهش. هناك عدد كبير من النساء الخبيرات يستعملن خجلهن وسذاجتهن كحاجز واق.»

ولما دخلا الى الصالون كان بعض المدعوين يغادرون المكان.

بارتباك ظاهر اضطرت ليندا تصافحهم وتبادرهم بالكلمات المحببة اللطيفة. وكان نظرها يشتبك بالنظرات الساخرة المليئة بالتعجرف او بعض التسامح، واحيانا قليلة بالنظرات الرؤوفة، ونظرات الحنان. كل واحد من الحضور كان يبدو مرتاحا لإنتهاء الحفل وهذا الاجتماع الصغير، خصوصا الرجال المسنين الذين يظهرون عن وجوههم الرصينة الغامضة تهذيبا، لكنهم لم يتكبدوا مشقة الانتقال الى المزرعة الا للصداقة التي تربطهم بدون ادريانو، لأنهم لم يكونوا راضين عن حفيده. بنظرهم، لقد لوّث هذا الاخير الصيت المعروف عن عائلة محترمة ولم يعوض عنه الا بهذا الزواج الذي جاء متأخرا. لكن بالنسبة الى الزوجات، فكن يشعرن بالاطمئنان، والدليل على ذلك الجهود المبذولة من قبل جده

ليجعله يطيع اوامره، لكن من دون جدوى. وبين الحضور كانت الفتيات وحدهن خائبات الامل. ان تربيتهن قاسية وتعود الى اجيال وقرون ماضية. وبينما كن يباركن للزوجين بعيون حزينة، كانت ليندا على يقين ان هؤلاء المراهقات متى دخلن إلى غرفهن سيطلقن العنان للبكاء.

ولما غادر المدعوون المنزل، اقتربت دونا ايزابيلا التي كانت تنتظر ذهابهم من ليندا وقالت:

«تعالي واجلسي قربي، يا ابنتي العزيزة. لدي ما اقوله لك.»

بحثت ليندا عن ماريو بنظرها لتحثه على المجيء لمساعدتها. بإيماءة من رأسه فهمت انه لا مجال لها ان تتهرب من دونا ايزابيلا.

قالت المرأة العجوز بلهجة جافة وهي ترى ماريو يشير بحركة في اتجاهها:

«ليس انت من أريد. اني ارغب في التحدث الى زوجتك فقط.»

«كما تشائين، يا عمتي. لكن عليك ان تحذري. صحيح انها تبدو مسالمة وغير مؤذية، كجميع الفتيات الانكليزيات، الا انها متى احرجت تخرج مخالبها.»

«انا سعيدة ان اسمع منك هذا الكلام.»

ازاحت دونا ايزابيلا الى طرف المقعد وربتت

امامها مشيرة الى ليندا ان تأتي لتجلس قربها. فلبت المرأة طلبها وبدأت دونا ايزابيلا الكلام موجهة حديثها الى دون ماريو:

«من الاسهل التقاط الفئران بالمطرقة بدل تقديم الحلوى، ويجب على زوجتك ان تجمع في داخلها قوة هرقل وحكمة سليمان كي تستطيع مقاومة تجربة الزواج برجل مثلك.»

رفع ماريو حاجبيه السوداوين وقال:

«وانت ستعلمينها كيف عليها ان تتحلى بهذه الصفات، اليس كذلك، يا عمتي؟»

«ليست بحاجة الى نصائح على ما اظن. انها امرأة بمعنى الكلمة. اريد فقط ان احذرها ضد جاذبيتك الماكرة، هذا السحر الذي تستعمله منذ طفولتك.»

ضحك ماريو وابتعد عنهما. وظلت ليندا تنظر اليه وهو يبتعد وتفكر بكلمات العمة التي لا شك تخفي محبة كبيرة له. وما ان انغلق الباب وراءه حتى انحنت دونا ايزابيلا وهمست قائلة:

«يا له من رجل ساحر، انه مخيف اكثر من جده عندما كان في سنه. هناك شيء يجب ان ا بوح لك به، يا عزيزتي، لقد امسكت الجواد بلجامه، على ما اعتقد لكن ارجوك لا تحاولي ارجوك ان تروضيه.»

ظلت ليندا صامتة مكتفة اليدين. كانت تحدق بطرف حذاء دونا ايزابيلا التي تابعت تقول:

«اعرف بماذا تشعرين. عندما كنت في سن المراهقة، وقعت في غرام الكونت حتى الجنون، انها جاذبية آل فالديفيا شيء اسطوري في هذه المنطقة. ومنذ تأسيس مجموعتنا الصغيرة، تحطمت قلوب نساء عديدات لأنهن لم يفهمن ان ردة فعل آل فالديفيا قاسية اذا ما استعملن معهم القوة. انهم بحاجة ان نترك لهم الحبل في العنق. ولاحظي انه لم يفسح لي مجال تجربة نظرياتي، لم يهتم بمعرفة اذا كنت اميل اليه او احبه. وهذا مازال يحدث الآن، فآل فالديفيا اصطدموا بالآباء الذين يبحثون عن ازواج لا يطابقون معرفتهن او ميولهن، انما يختارون لهن رجالا يطابقون امنياتهم هم.»

اطلقت زفرة ثم اضافت:

«اني احسدك، يا عزيزتي. لكنك ما تزالين شابة وسليمة النية وبريئة. لذلك انا ارتجف مكانك... دون ماريو سبب لك أذى كبير والشكليات التي تمت اليوم لا يمكنها ان تصلح هذا الاذى كليا. غير اني ارجو منك ان تتحلي بالصبر معه ولا تعيري انتباها لملاحظاته اللاذعة وان تردي عليها بالابتسام وان تتحملي من دون ماريو

طبعه الغاضب والعاصف، ذلك لأني اعدك بأنك ستجدين مكافأة على اعمالك في النهاية. وهو ان حبا عميقا ودائما سينمو بينكما...»

ابتسمت ليندا ابتسامة صفراء بينما كانت دونا ايزابيلا تنهض واقفة. لو كانت تعرف الحقيقة،ان ماريو يتمتع بحرية كبيرة وليست ليندا على استعداد ان تعارض هذه الحرية وتحرمه اياها. بامكانه ان يذهب الى اي مكان يريده.

الفصل السابع

في المساء غيرت ليندا ثيابها للاشتراك في حفلة شواء ستتم في الهواء الطلق وسط حديقة القصر. فاختارت لهذه المناسبة تنورة مقلمة ذات الوان زاهية وقميصا فلاحيا بأكمام قصيرة واسعة، مثلما ترتدي نساء وصديقات الرعاة. ثم سرحت شعرها الطويل جيدا ورفعته بشكل ذنب الخيل. ولأسباب غامضة تحلت بالشجاعة. فالاحتفال الذي سيتم الليلة لن يخجلها مثل حفل الصباح، لأن الرعاة اقل تصنعا وعجرفة من اصدقاء دون ادريانو، وبالتالي سيستقبلونها بترحاب ودفء. صحيح ان هذا الزواج السريع فاجأهم، هم ايضا، لكنهم لن يتظاهروا بالحكم عليها مسبقا او ادانتها.

لقد تعودوا ان يستفيدوا من كل ما تقدمه الحياة. وهذه فلسفتهم وبالتالي سيتفهمونها جيدا وسيحترمون نزواتها ونظرتها الى العالم.

اما ويندي التي ارهقها اللعب والدلال فنامت بعمق عندما جاءت ليندا لتنحني فوق سريرها. وكانت تسمع الموسيقى الصاخبة والضحكات المبتهجة الآتية من الحديقة. وبخفة هبطت المرأة

www.rewity.com

بخطوات نشيطة ومرحة السلالم المؤدية الى قاعة الاستقبال الصغيرة، حيث كان من عادات دون ادريانو ان يجلس لتناول المقبلات قبل موعد العشاء. لكن ابتسامتها اختفت عندما رأت دون ماريو جالسا على احد المقاعد. وما ان دخلت القاعة حتى نهض لتوه.

لاحظ نظرتها المتسائلة فأعلن ببساطة قبل ان يدعها تطرح السؤال المتوقع، قائلا:

«جدي، الرزين والكتوم كالعادة، قرر قضاء بضعة ايام في منزل دونا ايزابيلا. هذا لطف منه، اليس كذلك؟»

فتحت ليندا عينيها الواسعتين اندهاشاً وقالت:

«اتريد ان تقول اننا وحيدان هنا...»

«نعم. ليس تماما، فهناك الخدم الذين يسكنون الجناح القريب من هنا. من يمنعني ان آخذك بالقوة، هذه الليلة... لا احد بامكانه ان يسمع صراخك وعويلك.»

تلعثمت حين قالت:

«لا تكن تافها.»

«انت مخطئة يا عزيزتي. كيف بامكانك ان تكوني حازمة ومعك الجواب القاطع؟ فالليلة ما زالت في بدايتها. اني اجهل تماما ماذا سيكون تصرفي في الساعات المقبلة.»

امسك ذراعها ثم وضع يده على معصمها وادارها نحوه وذكرها قائلا:

«لقد تزوجنا منذ قليل يا حبيبتي. لذلك من المفروض ان نقدم لبعضنا العطف والمحبة. والعروس عليها ان تبدو متألقة. اما بالنسبة الي، فسأحاول جهدي ان ابدو مغرما وسأهمس في اذنك بعض الكلمات الناعمة وسأضمك الى صدري وفي أوج السهرة، سأقطف من خدك قبلة. لنبدأ اذن بالابتسام، ومن جهة ثانية لا اريد ان ارى في عينيك ملامح الكآبة والقلق بعد الآن. فهمت؟»

صمت قليلا ثم اضاف قائلاً:

«افهم تخوفك. لكن لن يكون الامر غريباً عليك، كما في المرة الاولى.»

من لهجته فهمت ليندا انه يتألم في صميم كبريائه فاستعادت نشاطها، وتوجهت معه الى باب المدخل حيث ينتظر الرعاة قدومهما. وما ان اجتازا العتبة حتى سمعا اصواتهم الحماسية وصراخ صديقاتهم او زوجاتهم:

«اهلا، اهلا، انت رائعة يا سيدة.»

تمكنت ليندا من الابتسام بثقة كبيرة ادهشت ماريو كليا. المشهد الذي واجههما عند غياب الشمس كان ذا جمال عنيف وبدائي. وضعت المشاعل حول دائرة واسعة، وسطها الحركة

مستمرة. فالتحضير لهذه السهرة بدأ منذ ساعات عديدة. صغار الرعاة كانوا ينحنون فوق موقد كبيرحيث يوقد الحطب، لشي شرائح كاملة من لحم البقر والعجل. والنساء اللواتي لمعت عيونهن اثارة وحماسة جلبن الصحون الى الطاولات العريضة.انه اسراف وافراط بالطعام. «الباباس» وهي عجة البطاطا المحشوة باللحم المفروم والبصل او الجبنة. «البانشو فيللا» اي حبوب الذرة والفاصولياء المطبوخة مع البيض المقلي والمتبلة بالثوم. ولفتت نظر ليندا اهرامات الفاكهة والخضار المنوعة واللماعة والملونة بجميع الوان قوس القزح. مجموعة من الشباب خرجوا من الظل. على اكتافهم القيثارات وتحت اصابعهم المرنة تنبعث موسيقى ناعمة وايقاعية. الابتسامة عريضة على شفاههم وتظهر اسنانهم البيضاء الناصعة.

كانوا يشكلون حرس الشرف حول دون ماريو وزوجته. فترك موظفو المزرعة اعمالهم واسرعوا نحو العروسين للتهنئة وتقديم الاحترام والولاء. ففي هذا المساء، يجري الاحتفال بعيد امير الرعاة، دون ماريو، وبالتالي كأنهم يحتفلون بعيد كل واحد منهم. في الوقت نفسه كانوا يشعرون انه مختلف عن بقية الرجال. فلم يحلموا من قبل

ان تكون زوجته امرأة شقراء ذات عينين تائهتين زائغتين جميلة كما هي، بعيدة، متحفظة.

وبعد هذا الاستقبال الحار والرفيع بالالوان بدأ الهرج والمرج والمزاحمة. جلسوا على المقاعد بينما جلس ماريو وليندا الى طرف الطاولة. وفي الحال شرعوا بتقطيع شرائح اللحوم وفاحت رائحة ذكية، رائحة اللحم المشوي وعبق الجو بها. كان الجميع جائعين ولم يخشوا ان يستعملوا اصابعهم ليتقاسموا قطع الشواء. وفي هذا الجو الغريب كانت الريح تهب بهدوء وتمشط جبال الانديس القريبة التي بدت غير مرئية تماما في الظلام. ففي وضح النهار يتهيأ للمرء انه قادر ان يلمسها باصبعه.

كانت المأدبة تعم بفرح وضحك. الابتهاج والحركة والاندفاع حررت ليندا التي كانت تقضم بأسنانها هذه اللحوم اللذيذة بنهم شبيه بنهم الرعاة.

كانت تتلقى اسئلة من حين الى آخر:

«ما رأيك؟ هل الطعام يعجبك؟»

«نعم، جدا. انه شهي للغاية.»

كانوا ينادونها بمختلف الصفات: المرأة الانكليزية، زوجة الدون الرائعة الجمال. الشقراء الغجرية.

وبعد انتهاء العشاء ازيحت الطاولات والمقاعد ليحل مكانها العازفون، الذين راحوا يعزفون

موسيقى حماسية وتحمس الرعاة فدعوا رفيقاتهن للرقص.

انحنى ماريو فوق ليندا وقال لها:

«الكويكا رقصة الحب الشيلية.»

ابتعدت عنه لكنه امسك بخصرها وشرح لها قائلا:

«منذ البدء على المرأة ان تجذب انتباه الرجل، وخلال الرقصة، تستميل حبه، وتدخل الى قلبه.»

لم تعره ليندا غير انتباه سطحي، اذ كانت تنظر الى الراقصين. الرجل والمرأة يقفان وجها لوجه ويحاولان تحويم مناديل حول رأسيهما. ثم تقوم المرأة باستدارات عديدة أخذة وقفات مغرية، بينما الرجل يضرب بقدميه على ايقاع الموسيقى التي تزداد حماسة بشكل تدريجي، ويضرب بيديه المهاميز والحضور يطلق صياح الحماسة والتشجيع ثم ينضم الى الحلبة التي تتحول الى هياج ودوامة لا نظير لها.

فجأة ظهرت فتاة سمراء، ساحرة الجمال، من وراء الاشجار. كانت ليندا تحدق بها وتتبع تحركها. وهمس احدهم قربها:

«كابريللا، الهجينة. انها تبحث عن رجلها.»

كانت الفتاة تتفحص الوجوه، ثم ما ان رأت ماريو حتى اقتربت منه. كانت تحدق فيه بوقاحة غير

مكترثة بتعليقات الرعاة. همسات وفضائح كانت تسمع هنا وهناك.

بأناقة رشيقة توقفت امام ماريو على رؤوس اصابعها ودعته في وقاحة ان يتأمل قوامها الرشيق. رمقت ليندا بنظرة اشمئزاز كأنها تريد ان تقول لها ان نحافتك ولون بشرتك لا يمكنهما ان يثيرا عشيقي. ومن دون اي انزعاج وضعت موضع الخصم والمنافس. راحت ليندا ترتعش وتقول لنفسها ان هذه الفتاة لم تبد غاضبة على ماريو لانه تركها. غير انها تستغل المناسبة لتتحداه. وكانت كل الحظوظ بجانبها.

وبحركة كريمة دفع ماريو بسلة فاكهة نحو الفتاة الجميلة. ومن دون ان تحيد نظرها عنه، تناولت تفاحة وعضت عليها. ثم مدت ذقنها وشدت على التفاحة بين اسنانها الناصعة ودعت ماريو ان يتقاسمها معها. انحنى ماريو للحال ليلبي دعوتها، لكن في سرعة البرق، حولت رأسها عنه وراحت تضحك، ثم خطت خطوة الى الوراء داعية اياه ان يتبعها.

توقف الراقصون في امكنتهم وراحوا يراقبون المشهد. ظلت الفتاة تحدق بماريو وهي ترجع الى الوراء بحركة راقصة. كان وجه ليندا جامد ومن دون تعابير. وماريو الذي سحرته الفتاة،

اقترب منها بخطى عريضة وراح الحضور يصفق بايقاع والموسيقيون يعزفون بحماس على قيثاراتهم. وراح ماريو يضرب بقدميه ويصفع المهماز بيديه وكابريللا تدور ببطء حوله، وتنورتها الطويلة الواسعة تتطاير حولها فتظهر قوامها الجذاب. اشتدت الموسيقى وراحت تسرع كما راحت خطوات كابريللا تسرع ايضا وتتظاهر امام ماريو باستعراض متوحش ومثير. كانت تقترب منه بدون ان تلمسه. وتساءلت ليندا: كيف سينتهي الامر؟.الفتاة كانت منجذبة بعنف نحو ماريو وهذا لا شك فيه وجاءت في يوم زفافه لتحقق هذه الرقصة المليئة شغفا كأنها تهب نفسها له. ولم تمتنع ليندا من الشعور نحوها بالشفقة، لأنها مرفوضة تلقائيا لدى عائلة فالديفيا النبيلة. لا شك ان كابريللا مولعة به، لكن هذا الاخير لا يشاطرها هذا الحب. لا يبدو انه يستحسن جمالها ومرحها واثارتها. لكنه لا شك يعتبر هذه العلاقة عابرة لا اكثر ولااقل.

وكما يدل اسمه «دون ماريو» فهو رجل ارستقراطي فاسد، يتنقل بسخرية ولا مبالاة من مغامرة الى اخرى. فكرت ليندا بكل هذا وامتلأ قلبهامرارة كبرى.

حول ماريو نظره عن الراقصة لينظر نحو

زوجته. كانت نظرته تلمع بسخرية، وفهمت ليندا انه لاشك عرف ما يدور في ذهنها. وبغضب منه ومن نفسها، انتظرت حتى ادار لها ظهره، ونهضت في هذا الظلام ولم يلاحظ احد رحيلها، لكنها دخلت المنزل راكضة وصعدت السلالم مسرعة نحو غرفتها. وبعدما صفقت الباب بشدة، ظلت مستندة اليه برهة حتى تستعيد انفاسها. اقفلت الباب بالمفتاح وبدأت تخلع ملابسها. كانت على وشك الانهيار. هذا النهار الطويل كان مليئا بالانفعالات.

غير ان الليل ما زال في بدايته بالنسبة الى الرعاة.

وبتردد فتحت ليندا درج خزانتها لتأخذ قميص نومها. لشدة دهشتها كان فارغا. فتحت الدرج الثاني، ثم الثالث، ولم تجد اثرا للألبسة. وحتى داخل الخزانة لم تجد اي فستان. فاحتلها احساس بالتوتر والخوف. اقتربت من السرير ورأت الفراش عاريا من الشراشف والوسادات والاغطية.

سمعت ليندا خطوات على السلالم. فتناولت الغطاء الوحيد الذي يغلف السرير ووضعته حول جسمها. توقفت الخطوات امام الباب، فتسمرت مذعورة. تحركت قبضة الباب فظلت

ليندا صامتة. وسمعت صوت ماريو الجاف قائلاً:
«دعيني ادخل، يا زوجتي والا خلعت الباب.»
لم ترد عليه ولم تفتح الباب ففي اعتقادها انه لن يقوى على خلع الباب.
وبعد قليل خلع الباب بالفعل ودخل، ولاحظ وجود الادراج كلها مفتوحة فقال بسخرية وهو يغلق ابواب الخزانة:
«هل كنت تتوقعين البقاء في هذه الغرفة بعد زواجنا؟ كارمين المرأة العاطفية لا تتحمل ان نبقى منفصلين مدة طويلة، فقد حملت امتعتك إلى غرفتنا التي سنتقاسمها معاً من الآن فصاعداً.»
شعرت ليندا بارتخاء في قدميها وكادت تقع لكنها تمكنت من القول:
«لكن ماذا يعني هذا الكلام؟ ألم نتفق على ان...»
قاطعها ماريو ضاحكاً:
«اطمئني انهما غرفتان متصلتان بباب مشترك. سننام اذن كل واحد في غرفة. لكن كي لا نوقظ شكوك الخدم علينا ان ندعهم يروننا معاً. وارجو الا يكون هذا الطلب مهمة شاقة لفتاة انكليزية طاهر.؟»
«اني اقبل هذه الشروط. هل بامكانك ان تريني هذه الغرفة؟ فانا اشعر بالبرد.»

حملها بين ذراعيه وتوجه نحو الممر، لم تجروء على الحراك بينما كان يهبط السلالم. كانت يداه تحرقان جسمها. ابتسم ماريو بوقاحة هادئة وهمس وهو يقف امام باب الغرفة:
«قولي يا عزيزتي، لماذا هربت من الحفلة؟ الا تريدين مقارنة نفسك بمنافستك، ام انك تغارين؟»
رددت بارتباك:«اغار ؟ عليك!!»
كان منظرها لا يصدق. فغابت الابتسامة عن وجه ماريو ومن دون ان يلفظ كلمة دخل الى الغرفة ووضع ليندا على قدميها. وبينما كانت تتخلص من ذراعيه، هبط الغطاء الناعم الذي يحيط بها مظهرا كتفيها، فرفعته بحركة عصبيةٍ واشتبك نظرها بنظر ماريو الذي ظل صامتا. وخافت ليندا ان يكون ماريو يحضر خطة للانتقام منها. فقال اخيرا باستغراب:
«لا، طبعا! كيف يمكن لقطعة جليد مثلك ان تغار؟ انه شعور تجهلينه... ماذا اذن وراء تصرفاتك الباردة؟ بماذا تشعرين، لو كان لديك شعور؟ من المهم ان اعرف.»
جذبها ماريو بين ذراعيه بعنف، ولم تكن قادرة على التخلص من قبضته خوفا ان ينزلق الغطاء عن جسمها. ثم راح يلامسها بيديه الفضوليتين. لا تنقصه الخبرة ولا حتى كيفية التصرف. وليندا

www.rewity.com

التي كانت تتصنع اللامبالاة كانت تشتعل داخلياً بالرغم منها.

وراح يهمس في اذنها قائلا:«اهدأي، يا عزيزتي.»

وبعدما لامس خدها الساخن، راح يعانقها بشغف وهي كان تشعر بأحاسيس عنيفة تحرق داخلها فارتعبت. ولما رفع رأسه، كان الامتنان مرتسما على وجهه مما جعل ليندا تصفعه بكل قواها. امسك ماريو بمعصمها وضمها اليه وانتزع يدها المتمسكة بالغطاء الحريري. ارتسم على وجه ليندا تعبير أليم عتم قلبها. فلم تكن تريد الاستسلام له وراحت تتخبط بكل طاقتها للتخلص منه.

ضحك ماريو وشعرت ليندا بالاهانة والكراهية العمياء له حتى انها تمنت لو بامكانها ان تقتله في هذه اللحظة بالذات.

قال ساخراً:

«بدأ الجليد بالذوبان. كان يكفي شرارة...!»

تمكنت من القول والدموع تتجمع في عينيها:

«انت انسان فظ ومتوحش! اني اكرهك.»

وتشنجت مستعدة لتحمل قهقهته الساخرة، لكنه اكتفى بمراقبتها بامعان ثم قال:

«على الاقل تمكنت من معروفة ان لديك عواطف شغوفة. وانا على يقين اني احدثت

فيك انفعالا كبيراً اكبر مما احدثه والد ويندي.»

تعلقت ضربة جديدة اقوى من اي شيء. وهذه الذكرى عن والدها فتتت قلبها. فحاولت كبت بكائها لكن الدموع راحت تتلألأ من جفنيها.

فقال غير مصدق:

«أتبكين لذكرى الرجل الذي تركك؟ هل ما تزالين تحبينه؟»

اجابت بجفاف:

«لم يتركني. بل مات. لكني ما ازال احبه. وسأظل احبه.»

ران الصمت بضع ثوان. ثم انحنى ماريو والتقط الغطاء الحريري ولفه حول ليندا ثم حملها بين ذراعيه حتى السرير. رفعت نحوه عينين قلقتين فأسرع يقول لها:

«بإمكانك ان تنام بهدوء يا عزيزتي. لستِ انوي محاربة شبح او خيال. لكن لا تنسي شيئاً مهما: اننا ننتمي الى عالم الاحياء، لذلك يجب ان نفكر بهم وليس بالاموات. عزيزتي ارتاحي بسلام.»

الفصل الثامن

خلال الاسابيع التالية، عرفت ليندا معنى السلام والهدوء في حياة متميزة وثرية، حياة لم تكن تجرؤ على الحلم بها او تخيلها. وعندما عاد دون ادريانو من اقامته القصيرة في منزل دونا ايزابيلا، اعلمه دون ماريو بقراره، وهو رفضه ادارة المزرعة، الهدف الذي كان يرغب العجوز في تحقيقه، ولو بالحيلة والخداع. واعلمه بأنه يفضل ان يتقاسم حياة الرعاة المتعبة، كما في الماضي. ان يفيق قبل الفجر، ويمتطي جواده طيلة النهار ويجتاز من دون توقف المسافات الشاسعة، ويجمع الماشية لوسمها.

ومن وقت الى آخر كان يضطر الى مرافقة الماشية الى مرفأ بعيد، لذلك كان يتغيب اياماً عديدة. ولدى عودته كانت ملامح وجهه تبدو مرهقة ومليئة بالغبار وكان جسمه النحيل يبدو اطول من العادة عندما يظهر قرب المنزل.

كان دون ادريانو يتحمل هذا الوضع بصعوبة. لكنه اخيراً لم يعد يحتمل. وفي احد الايام، بينما كان حفيده عائداً من رحلة طويلة، استدعاه لينذره ببلاغ نهائي لا عودة عنه.

ولما وصل ماريو كان العجوز يأخذ حمام شمس قرب حوض السباحة ويستمتع برؤية ليندا ووينديي تلعبان في الماء. كانت الطفلة بأمان بين ذراعي شقيقتها تطلق صياح الفرح واحياناً صراخ الخوف.

كان الطقس حاراً وناعماً وكانت ليندا ترتدي ملابس سباحة بيضاء وبدا جسمها اسمر من شدة تعرضه للشمس. كما ان صحتها اخذت بالتحسن وزاد وزنها. راحت تقهقه بصوت مرتفع عندما تمسكت ويندي بشعرها محاولة التسلق على كتفيها خشية الوقوع في الماء. وماريو الذي كان يقترب بخطى بطيئة وثقيلة لم يقدر ان يزيح نظره عن هذا المشهد، بل كان يبدو مندهشا وسعيدا.

صرخ دون ادريانو لدى رؤيته قائلاً:

«ماريو، يا بني، اهلا وسهلا بك في المزرعة! ليندا، انظري، هذا ماريو. تعالي واظهري له فرحك بعودته.»

وكي تخفي اضطرابها، انهمكت المرأة لحظة بوينديي المتعلقة بعنقها. كانت تعرف ماذا ينتظر دون ادريانو منها.

اقتربت من الرجل المرهق حاملة شقيقتها بين ذراعيها. هذا الرجل الذي وجدت في غيابه الراحة

والهدوء والطمأنينة داخل المزرعة. وبصورة غير منتظرة راح قلبها يخفق بسرعة. ثم رفعت رأسها نحو ماريو من دون خوف. ودون ادريانو كان يراقب تصرفاتها بفرح. طبع ماريو على خدها قبلة سريعة فخاب امل ليندا. ثم ركز اهتمامه على الطفلة وقال:

«وكيف حال جميلتي الصغيرة اليوم؟»

اخذ الطفلة بين ذراعيه واضاف:

«احب ان الهو معك، ياحبيبتي. لكنني مليء بالغبار. اذهبي الى امك حتى آخذ حماماً واعود اليك.»

«هل تحب موافاتنا الى هنا بعد ذلك؟»

لم تصدق ليندا ما سمعته. فهي نفسها التي طرحت عليه هذا السؤال.

«اذا كان هذا ما تريدينه. اتفقنا.»

تدخل دون ادريانو بقوة وقال:

«ولماذا تظن انها لا ترغب بذلك. انت حقاً زوج وشبح في آن واحد. حتى الآن ليندا تتكيف مع هذا الوضع لكن، من جهتي انا، قررت ان اضع حدا لغيابك المتواصل. واني انوي ان اضعك على رأس المزرعة، منذ الآن، سبعون سنة تكفي. سأستقيل من دون تأخر، لكن لنناقش هذه الامور بعد العشاء. اذهب وخذ حمامك ثم انضم

الى ليندا. لا شك ان لديكما اشياء كثيرة للقول. لكن لا تنسى ما قلته، لم يعد هناك وقت للتردد والمراوغة.»

هز ماريو رأسه وتوجه نحو المنزل. وبانتظار عودته فكرت ليندا ان ماريو سيحقق هدفه الذي من اجله قبل زواجا مدبرا سيحرمه الحرية لبضعة سنوات.

وبينما كانت منغمسة في افكارها، لم تلاحظ ليندا ان الخادمة، بطلب من دون ادريانو، اخذت الطفلة الى داخل المنزل. ولما ظهر ماريو على الشرفة، ابتعد الرجل العجوز بدوره تاركا الزوجين بمفردهما.

«طلبت مني ان ارافقك، اليس كذلك؟»

فوجئت ليندا به وانتفضت، فقال :

«هل كنت جادة بدعوتك، ام انك تصنعت ذلك من اجل ارضاء رغبات جدي؟»

حبست ليندا انفاسها وهي تحدق فيه، بقامته الممشوقة وعضلاته المتناسقة كليا. وفهمت للحال سبب جاذبيته واشتبكت نظراتهما، فقال بسخرية:«اذن؟ هل ترافقينني. اشعر بحاجة كبيرة للسباحة.»

فجأة شعرت برغبة قوية للمكوث بجانبه. مد لها يده ليساعدها على النهوض فراحت تركض ثم

قفزت في الماء واحتلت كيانها قشعريرة ونوع من الاثارة البهيجة عندما لمحت ماريو يغطس في المياه. ظل عدة لحظات قربها ثم تجاوزها وهو يسبح بقوة وبسرعة غريبة.

ولما وصلت ليندا الى طرف الحوض كان ماريو يعوم بلا مبالاة وعيناه تحدقان بالسماء. كان يبدو فرحا.

قال بصوت منخفض:«انني احلم بهذه اللحظة منذ ايام وأيام.»

ثم التفت نحوها وتابع يقول:

«خلال هذه الرحلة الاخيرة، لم التقي الا بالمشاكل، فضلا عن حرارة الطقس التي وترت الحيوانات والرجال.»

قالت له بجفاف:

«لكني لا اشك في انك نلت بعض التعويضات المرحة لدى وصولك الى المدينة.»

«نعم بالفعل، بعض التعويضات.»

فجأة اختفى تحت سطح الماء. ولما وصل قرب ليندا، شدها بكاحليها وجذبها الى اسفل الحوض. اعتقدت ان رئتيها ستنفجران. تركها اخيرا، وصعدت الى الهواء الطلق وفتحت فمها تلهث.ولما شاهدت رأس ماريو الاسمر يطل فوق الماء، قررت الانتقام، فتسلقت كتفيه وشدت ثقلها

حتى انزلته تحت الماء. وفي الحال اصبح ذلك لعبة مرحة. وخلال ساعة تقريبا كانا يلعبان في الماء كالاولاد، بكل بساطة. وبصورة غير منتظرة التقت طباعهما المختلفة بنوع من الاتفاق وراحا يتمتعان بهذا التناسق العابر.

وبعد ذلك تمددا على الكراسي الطويلة واحضرت لهما كارمين المشروبات المنعشة. فاحتسيا شرابهما وهما يجففان جسميهما تحت اشعة الشمس.

وتنهدت ليندا قائلة:

«اني احب فصل الصيف هنا. انه جاف من دون ان يكون خانقا. لا اصدق اننا في شهر كانون الثاني/يناير في لندن لا شك ان الثلج منهمر الآن. وعلى الارصفة المنزلقة يتدافع الناس ليستقلوا الباصات متأففين من رداءة الطقس.»

بكلامها لفتت اهتمام ماريو الذي راح يراقبها بدقة ويسألها:

«حدثيني عنك. ماذا كنت تفعلين قبل ان تلتقي جدي؟ وكيف تم هذا اللقاء؟»

تجهم وجه ليندا فجأة. لأول مرة تشعر بارتياح وارتخاء لوجوده. لكنه باسئلته هذه، اعادها الى مدار الخطر.

تلعثمت وهي ترد على سؤاله قائلة:

«كنت اعمل في مكتب واعيش مع ويندي في غرفة صغيرة لا تبعد عن مركز عملي.»

«وماذا كنت تفعلين بالطفلة عندما تكونين في العمل؟»

«كنت اضعها كل صباح في دار الحضانة وآخذها في المساء لدى عودتي.»

انها تعرف تماما عقلية الناس هنا في اميركا الجنوبية وكانت متأكدة من ردة فعل ماريو المصدومة لما قالته. الا يعتبرون - هنا في شيلي- ان وجود الام الدائم هو شيء ضروري للولد؟

«لم يكن امامي اي خيار. في انكلترا من عادة النساء ان يضعن اولادهن في دور الحضانة. على كل حال فالعاملون هناك يهتمون بالاولاد كل الاهتمام وكل العناية.»

لمعت عينا ماريو السوداوين وقال:

«هكذا اذن، انت تعتقدين انه بامكانهم التعويض عن حب الام؟»

قالت ليندا وقد سئمت من هذا الحديث:

«كلا، ابدا! ولهذا السبب انا هنا. كنت اشغل وقتي وعقلي كله من اجل صالح ويندي وهذا الوضع كان مزعجا، لأني لم اكن اربح المال الكافي. ولما ازدادت المصاريف لدار الحضانة، اضطررت ان اخرجها من هناك. ثم ارغمتني صاحبة الغرفة

حيث كنا نسكن على الرحيل لأن صراخ ويندي يزعج الجيران. كنت امر بحالة نفسية سيئة عندما شاهدت الاعلان الذي وضعه جدك فلم اتردد في اللجوء اليه.»

توقفت عن الكلام لحظة وشعرت بانزعاج يحتلها. وماريو تشنج بدوره وقال بصوت فاتر:

«تابعي كلامك. كيف كتب الاعلان؟ هل ما زلت تتذكرين الكلمات التي استعملها؟»

كادت ليندا ان تهرب بسرعة لكن نظرته القاتمة اقنعتها وراحت تتلو عليه بشكل آلي قائلة:

«وظيفة لفتاة شابة انكليزية شقراء.»

توقفت لحظة واختنق صوتها ثم اكملت:«يجب ان تكون كتومة، طيعة ووديعة.»

ابتسم ماريو بسخرية فتابعت تقول:

«وتقبل طلبات من يتحملن اعباء الاسرة.»

تنهد قائلا:

«ولم يحذرك احد من مخاطر هذا الاعلان؟ رميت بنفسك هكذا.»

اجابت برصانة:

«لم يعرف احد بخطتي. لم يكن لدي اصدقاء بمعنى الكلمة. وكنت اعاني وضعا ميؤوسا منه وكنت مستعدة ان افعل اي شيء لأبقى مع ويندي.»

نهض ماريو فجأة وراح يحدق بها ويقول:«مهما اصر جدي، فلقد تزوجت الشيطان.»

فكرت ليندا بمرارة: «كيف تنكر ذلك؟» تعبير وجهه الماكر شلها. لكن لسبب غامض، حاولت متابعة الحديث وقالت بحزم:«كلا، كلا، لكن جدك سخر مني. صحيح انه لم يكذب عليّ، غير انه اعطاني صورة عنك لا تطابق الحقيقة. فحسب قوله لي انك رجل خجول ومعقد وتنقصك الثقة بالذات. وحسب قوله اتفق معك على ان يجد لك زوجة. لو كنت اعرف اني خدعت لما كنت وافقت على اقتراحه.»

وبصوت مخنوق راح ماريو يشتم جده ولم تر الرأفة والحنان في عينيه الباردتين عندما حدقتا بها وقال:

«اذن جئت الى شيلي باعتقادك انك ستلتقين يمامة! غير انك التقيت بنسر تشبث بك بمخالبه، لقد خدعنا معاً. لكننا سنثأر منه في الوقت المناسب. بما انك على استعداد لتقبل خطتي، سأسهر على ان تكوني قد اخذت تعويضك كما يجب.»

ابتعد عنها لكنها احتجت وهي تقول:

«سبق واكرمني دون ادريانو كثيرا. ولا ارغب بشيء آخر، و...»

قاطعها قائلا:«لا تعتقدي ان ملابس انيقة ومنزلاً تسكنينه يكفيان لأن تكوني امرأة ثرية، حتى ولو اهداك بالحلي والمجوهرات، فهذا بنظري كأنك لا تملكين شيئا.»

بعد قليل من ذهابه، توجهت ليندا الى غرفتها. كانت الشمس ساطعة، لكنها كانت ترتعش بردا. لقد عاملها ماريو باحتقار حتى اصبحت باردة كالجليد. هذا التصرف من قبله ليس جديدا، فمنذ لقائهما الاول وهو لا يكف عن مشاكستها. لكن هذه المرة، بعد هدنة بعد الظهر في حوض السباحة، دهشت ليندا. ثوب فالصدمة كانت قوية.

وبينما كانت تخلع ثوب السباحة، سمعت وقع خطى خلف الباب. ليس امام ماريو سوى باب غير مقفل ليجتازه لكنه لم يغامر في الدخول الى غرفتها منذ اليوم الاول لزواجهما.

فكرت بوالدي ماريو اللذين لا شك تقاسما هذه الغرفة بالذات. فهما ايضا اضطرا للزواج، لكن حسب اقوال دون ادريانو احبا بعضهما البعض بشغف كبير. اغمضت عينيها وهي تفكر ان هذا الجو عليه ان يعبق من جديد بهذا الحب. لكن من دون جدوى.

ارتدت روبها وتمددت على السرير. ما زال امامها

ساعتان قبل موعد العشاء. كانت تشعر بتعب لكن الاعصاب والتوتر والاضطراب ستمنعها من النوم.

وراحت تجول بعينيها في المكان: الابيض كان اللون الاساسي ثم الذهبي. السقف ابيض والستائر الحريرية يدخلها الابيض وكذلك البساط المزهر. الجدران عارية الا من لوحة صغيرة ومرآة كبيرة.

همست ليندا بصوت متعب:« منظر عاطفي.»

اغمضت عينيها بعدما شعرت بصقلهما وغطت في نوم عميق لم تفق منه الا بعد ساعة، وشعرت بالراحة ونهضت تأخذ دوشا. احست بنشاط وانتعاش في كل انحاء كيانها. اختارت فستانا احمر فاقع اللون وضيقا ارتدته وشعرت بتحد سيساعدها على السيطرة على خجلها. ثم وضعت حمرة فاقعة وعلقت في اذنيها قرطين عريضين ومصنوعين من الذهب وهزت رأسها لتعتاد على ثقلهما.

ثم وقفت امام المرآة تنظر الى نفسها عندما دخل ماريو الغرفة. البساط السميك خنق صوت خطواته، لكنها شعرت فجأة بوجوده والتفتت نحوه. محى ابتسامته في الحال. كادت ان تعاتبه لدخوله المفاجيء وانتهاك حريتها واستقلالها، لكنها عدلت عن ذلك فجأة. كانت نظرات ماريو

تتفحصها بدقة، فستانها احمر ضيق يظهر تفاصيل جسمها. لكنها تسمرت مكانها عندما صرخ بصوت مشمئز:

«اخلعي هذا الفستان في الحال.»

رفعت رأسها غرورا وسألته:«لماذا؟ انه يليق بي تماما.»

قال بسخرية:

«كما يليق جلد الذئب بالحمل، فقط النساء المغريات يرتدين مثل هذه الملابس، يا عزيزتي، وانت لست منهن. انت تجهلين كليا معنى الاغواء.»

وبحركة عنيفة انتزع القرطين ورماهما بعيداً، ثم امسكها بكتفها وبطرف يده مسح الحمرة عن شفتيها. واهملها تاركا اثارا حمراء في منتصف خدها وامرها قائلا:

«والآن، اغسلي وجهك. ولا تنسي ان تغيري ملابسك، انت امرأة غير محتشمة.»

واجهته ليندا بغضب وقالت:

«لا يحق لك ان تتكلم عن الحشمة. رقصت كابريللا امامك بوقاحة وانت شجعتها واقنعت الحضور انك كنت تود الزواج منها.»

قاطعها بجفاف وغضب:

«لا تدخلي كابريللا بالموضوع.»

«لكن، لديك ضمير.»

«بالطبع، عندي ضمير.»
وضع يده في جيب سترته الداخلية واخرج منها علبة صغيرة مخملية واضاف قائلا:
«ارفض استغلال الرعاة. ومثلهم انت تستحقين الاعتبار. هذا كان ملك والدتي. جئت به اليك تعويضا لخدماتك. اصر ان اراك تضعينها، هذا المساء بالذات.»
«كلا، شكرا. هذا لا يليق بفستاني.»
وفي اللحظة التالية كانت تتأرجح بدوامة غريبة. ثم شعرت بسحابة فستانها تنسحب. امسك ماريو بالقماش الناعم ومزقه على طوله وقال بلهجة قاتمة:
«المشكلة لم تعد مطروحة بعد الآن. وكي تمنعي ذلك من الحدوث في المستقبل ولتحافظي على ملابسك، اعرفي ان من عادتي ان يطيعني الآخرون من دون نقاش.»
وبهدوء نظر الى ساعة يده ثم اضاف:
«يبقى امامك عشر دقائق قبل العشاء. وهذا يكفي لتغيير ملابسك.»

الفصل التاسع

تم العشاء في جو متوتر. وليندا شاحبة، ذات النظرة الحزينة حافظت على الصمت امام نظرات دون ادريانو القلقة. وماريو من جهته، لا يتزحزح ويناقش من دون توقف بأمور شتى محاولا استيعاب انتباه جده.
كانت ليندا تشعر بالاختناق وبصعوبة كبيرة في ابتلاع الطعام. فقد اهانها ماريو مرة اخرى بقسوته الاعتيادية. ظل معها في غرفتها وهي تبحث في خزانتها عن فستان ترتديه. بسرعة اختارت فستانا بلون قمحي ليظهر عقد الياقوت الازرق.
وبعد ان نظر دون ادريانو الى ليندا استدار نحو ماريو وقطب حاجبيه قائلا:
«اريدك، قبل ان تتولى ادارة المزرعة ان نقوم برحلة صغيرة، رحلة بمثابة شهر العسل.»
لم يتحمس ماريو ولا ليندا. لكن قبل ان يشعر بخيبة امل اضاف قائلا:
«بامكانكما ان تمضيا اسبوعين على الساحل، وسيكون ذلك رائعا، من ناحيتي، انوي زيارة بعض الاصدقاء في اسبانيا لكن بعد عودتكما.

ليندا،اعتقد بانك ستحبين منطقة فينديل مار .هناك الشاطىء من اروع ما يكون والفنادق فاخرة الملاهي كثيرة يقصدها السياح من ارجاء المعمورة.»

اعتقدت ليندا ان ماريو سيرفض هذا الاقتراح، لذلك لم تر مناسباً ان ترد. لكن، لشدة دهشتها وافق ماريو قائلاً:

«هذا اقتراح جيد وجذاب. فضلاً عن ان ليندا ستكسب من المكوث قرب شاطىء البحر كل صحة وعافية.»

«رحلة شهر العسل تتم للعريس فقط والعروس وستبقى ويندي هنا.»

كانت لهجته قاطعة وكادت ليندا ان تعترض لكن ماريو سبقها قائلاً:

«ربما انت على حق. اتفقنا سنذهب غداً صباحاً الى فينا ديل مار.»

شعر دون ادريانو بارتياح وغادر المائدة بعد انتهاء الطعام تاركا الزوجين لوحدهما. نوافذ غرفة الطعام كانت مفتوحة، غير ان الهواء العليل الذي يدخل الى المنزل غير كاف لانعاش الجو الرطب والخانق. فاقترح ماريو في لا مبالاة وضجر:

«ما رأيك لو نخرج للنزهة؟»

وفي بادىء الامر كانت ليندا تريد الرفض لكنها

اخذت حذرها في الحال. من الافضل الخروج على البقاء مسجونة في الداخل، واشارت له بحركة ايجابية من رأسها.

«سأجلب لك شيئاً تلبسينه في حال شعرت بالبرد.»

نهض ماريو سعيداً بالتخلص من هذا الجو الثقيل. وبعد لحظات، ظهر من جديد حاملاً شالاً طويلاً مطرزاً، وقال وهو يقترب منها:

«هذا يكفي. انه من الحرير وخفيف على الجسم.»

انتفضت عندما وضعه على كتفيها. فلاحظ ماريو ردة فعلها وقال بسخرية:

«اطمئني، لست انوي تمزيقه وهذا لا يعني اني على استعداد لأمزق كل ما ترتدينه.»

«لماذا تصر على ان تكون زوجتك في مظهر محتشم الى حد كهذا؟ انت لست متحفظ في ما يتعلق بلباسك الخاص.»

راح يميزها مطولا وقال:«هناك مثل يقول: المرأة العفيفة هي امرأة مهجورة. لكن هذا المثل لا يمكن ان نطبقه عليك، لأن ويندي هي الدليل الواضح.»

شعرت بأن الدموع تحرق عينيها فأزاحت رأسها بسرعة، واجتازت ممر المدخل. فكرة واحدة

تعزيها، فوجود شقيقتها سلاح مخيف ومروع. ولو كانت تعرف استعمال هذا السلاح بمهارة كافية، سيشعر ماريو بأن غروره على المحك ويتوصل الى عدم تحمل وجود الطفلة ولن يتأخر قبل ان يطردهما معا الى انكلترا.

عبرا الشرفة قبل الدخول الى الحديقة المضيئة بنور القمر. وراحا يتنزهان بين ازهار الاوكاليبتوس التي تحيط بالمنزل. ومن بعيد امكن رؤية البيوت الصغيرة المبنية على جانبي الطريق والتي تؤوي عمال المزرعة واسرهم.

راح ماريو يشرح لليندا كيف تتم عملية التوزيع في المزرعة ويقول بلا مبالاة اعتيادية:

«عندما احتل المغامرون الاسبان هذه الارض الجديدة، وهبهم ملك اسبانيا مكافأة بمنحهم هذه الاراضي. وطلب منهم الحفاظ على القبائل الجديدة مكان سكان الهنود. واخذ كل فرد حقه من الاراضي باعتبار استحقاقاته ومركزه الاجتماعي. هكذا عادت المزارع الصغيرة الى الجنود والكبيرة الى الضباط.»

سكت قليلا ثم تابع وهو يحدق بالافق:

«وآل فالديفيا الذين كانوا ينتمون الى العائلة الاسبانية القديمة النبيلة، حصلوا على هذه المزرعة واداروها حسب التقاليد القديمة لبلاد

المنشأ. وهذا النظام مستمر حتى يومنا. الرعاة لا يعتبروننا ارباب العمل، بل افراد نافذين في عائلة ينتمون اليها، لانهم يعملون هنا، ابا عن جد. ونشأت بيننا علاقات حميمة وهم يكنون لنا كل احترام.»

تدخلت ليندا بلهجة قوية قائلة:

«انت فرح لأن عمالك لا يموتون جوعاً. لكن عليك الاعتراف بأن احدا منهم لا يمكنه ارغامك ان تعطيه اكثر من حقوقه، اني مقتنعة بأنه اذا اراد احدهم مغادرة المزرعة ليعمل في مكان آخر، فلن يتمكن من ايجاد اي عمل.»

انتفض ماريو بعنفوان وقال:

«عمالنا احرار ان يذهبوا متى رغبوا.»

«مثلي؟ انت تعرف تماما ان لا احد من المالكين في المنطقة يقبل توظيفهم. ربما يجدون في المدينة عملا، لكنهم سيجدون صعوبة في الاختيار. ان آل فالديفيا كانوا وما زالوا الطغاة المستبدين،وهذا مستمر حتى الآن. انتم لا تعتبرون الناس كائنات من لحم ودم، بل دمى تحركونها كما تشاؤون بطرف الخيط، انتم لا تعتبرون ما يريدونه ويرغبونه. فقط تهمكم رغباتكم وحدها. لنأخذ مثلا: اسبوعي العطلة على شاطىء البحر، هل اخذتم برأيي؟ ابدا. لكني لا ارغب بالسفر وخصوصا معك.»

«وبينما كانت تستشيط غضبا، ظل ماريو متعجرفاً كأي ارستقراطي نبيل واعتلت وجهه ابتسامة عابرة وقال:

«الا تعجبك فكرة قضاء بضعة ايام معي ؟ انت بحاجة ماسة الى عطلة، يا عزيزتي. اعصابك متوترة وفي فينادیل مار ستجدين الهدوء والاسترخاء، لكن بجانب ذلك...»

فجأة اصبح صوته قاسياً واضاف:

«يجب ان نحرص على ان يظل جدي في مزاج حسن. النجاح اصبح من الآن فصاعداً في قبضة يدي، واذا اضطررت من اجل ان نربح الجولة، ان نذهب معاً في رحلة شهر عسل، فسنفعل ذلك. واذا كانت اقامتك معي في فينادیل مار تقلقك، سأبدل لك الهموم من الآن. لن تخشي شيئاً مني، اني اعدك بذلك. سأحاول جهدي ان اجعل اقامتك هناك ممتعة للغاية وستتذكرين ذلك وساشكرك على الخدمات التي تؤدينها لي.»

* * *

في صباح اليوم التالي اقلعت بهما الطائرة وكان يقودها ماريو بنفسه. استدار فوق المزرعة وتوجه نحو الغرب. وكان ماريو يبدو مرتاحاً وهو يقود الطائرة. وقربه كانت ليندا تشعر ببعض القلق

عندما بدأت الطائرة بالصعود عالياً. ولم تعد ترى الارض كليا.

ومهما كانت تفكر بهذا الرجل الغريب، فهي تثق به ثقة عمياء. كان يرتدي سروالا من الكتان وقميصاً ذا قبة مدورة. وفي وجهه ملامح بشوشة ويبدو انه عازم على الافادة من هذه الاستراحة غير المنتظرة قدر الامكان ان رافقته ليندا ام لا.

رمقها بنظرة، فكانت مستقيمة بجلستها، متقلصة، مكتفة اليدين. تعبر عن توترها الداخلي الحذر.

انحنى ماريو فوقها وقال:

«ما رأيك ببعض البهلوانيات؟»

لم تقدر ليندا ان تمتنع عن الارتجاف. فهي تشعر انه على استعداد للقيام ببعض النزوات الطائشة، حسب عادته.

تلعثمت وهي تقول:

«لا شكرا.»

فجأة ارخى الرافعة وسحب المقبض، فشبت الطائرة، ومقدمتها موجهة نحو السماء وراحت تصعد عمودياً. تسمرت ليندا في مكانها وانقطع نفسها وشعرت بدمها ينبض في اذنيها.

لم تكن قادرة على ان تنبس بصوت. سيطر ماريو على المقبض فاستعادت الطائرة مركزها الطبيعي. اطلقت ليندا زفرة ارتياح، لكن ارتياح،

لوقت قصير، لأنها بعد لحظة قصيرة، كانت تعيش كابوسا حقيقيا. راحت الطائرة تهبط بسرعة نحو الارض. وبدت الكارثة حتمية. اغمضت ليندا عينيها وضغطت على فكيها، بانتظار ان تسمع الصدمة. وراحت تصلي في داخلها الى ان شعرت ان الطائرة ترتفع من جديد بصورة تدريجية.

فتحت عينيها وكان ماريو يبتسم بهدوء. فصرخت به غاضبة:

«انت انسان مجنون حقاً، كدت تقتلنا.»

قهقه ضاحكا وقال:

«نعم، لكن بطريقة جميلة، يا عزيزتي ما اجمل ان يختفي الانسان من الوجود في شعلة من النار كأنه يلعب بالموت.»

حاولت جهدها استرجاع عقلها وقالت:

«اقتل نفسك اذا كان هذا ما ترغبه، لكن افعل ذلك لوحدك. شخصيا افضل حياة تعيسة على موت رائع.»

تمت بقية الرحلة في هدوء تام، فقد ظلا صامتين حتى بدأت الطائرة تخفف من سرعتها استعدادا للهبوط. وانبسطت تحتهم مدينة فالباريزو.»

قال ماريو وهو يشير نحو النافذة:

«برأيك لماذا تدعى هذه المدينة وادي الفردوس؟»

انحنت ليندا الى الامام ولاحظت ان هذا التكتل

الواسع له شكل المنجل والخط المنحرف يحيط المرفأ حيث رأت عددا لا يحصى من السفن. بالكاد شاهدت الرافعات تفرغ السفن. اذ انحرف ماريو فوق المطار بسرعة وهبطت الطائرة بسلام.

استقلا سيارة تاكسي اقلعت مسرعة على الطرقات الواسعة لمدينة فالباريزو. فلم تتمكن ليندا من اخذ وقتها في النظر مليا الى هذه المدينة الجميلة وهضباتها الصخرية المنفتحة على خليج واسع.

اخبرها ماريو بالتفصيل ليعوض عليها ما فات وقال:

«في المدينة مستويات. الاحياء السكنية تقع في المدينة العليا ومنطقة الاعمال تقع في المدينة السفلى، والقطارات تصل المدينتين ببعضهما.»

«وبعد ربع ساعة وصلت بهما السيارة الى فينا ديل مار. اعجبت ليندا بطابعها الغريب. الشاطىء الرملي الناعم يمتد على مد النظر. صفوف المظلات ذات الالوان الغامقة تنتشر قرب الحجرات الخاصة بالمستحمين. ومن جهة البحر المساكن الواسعة الفاخرة التي تعود الى بداية القرن، بجانبها الفيللات الحديثة وعربات الخيل تنتقل ذهابا وايابا بخطى الخيول الهادئة. اشجار النخيل والصنوبر تحد الطرقات العريضة. وفي كل مكان الازهار على انواعها بوفرة مدهشة.

استغربت ليندا وقالت:«يا لوفرة الازهار، وهذه العطور.»

قال ماريو مبتسماً:

«كل مواطن يملك المساحة اللازمة وعليه بطريقة او بأخرى، ان يزرع فيها ازهارا. وهناك قانون بهذا الصدد.»

مد ذراعه وفتح باب سيارة الاجرة التي توقفت امام فندق كبير فخم.

وكأنها في حلم تبعته الى مدخل الفندق. ودخلا في المصعد الى الطابق الاخير. فقادهما الموظف الى الجناح المخصص لهما، خلال مدة اقامتها. الديكور كان فاخراً وانيقا. النوافذ الكبيرة تطل على المحيط الهادىء.

قال لها ماريو وهو يقترب منها وهي تتأمل المنظر بإعجاب:

«هل يعجبك المنظر؟»

«انه رائع يقطع الانفاس بجماله.»

التفتت نحوه متألقة. وظهرت في عينيها الزرقاوين زرقة المحيط الغامقة.

بدا ماريو مندهشا: هذه الصرخة النابعة من اعماق القلب اسكتته. كان ينتظر ان يراها كالعادة متحفظة وعدائية، ولم يعد يعرف كيف ستكون ردة فعله. حدق بها مدة طويلة فاحمرت

وجنتا ليندا واختفت الابتسامة البراقة وتيقظت. خالجها شعور انبأها الا تثق بماريو وبنزواته وانفعالاته العنيفة وغير المتوقعة.

ابتعدت بعصبية عندما اعلن بصوت لا مبال:

«اقترح عليك شيئاً. انسي اني زوجك. ومن جهتي سأعتبرك نوعاً ما رفيقة. سئمت الحرب التي بيننا. لنضع اسلحتنا ولنعتبر هذه العطلة هدنة. ما رأيك؟»

كيف بإمكانها ان تنسى مثل هذا الشيء، انه يطلب منها المستحيل، غير انها هزت رأسها ايجاباً. فأجابها بابتسامة عريضة قائلا:

«عظيم، ما رأيك لو نغتسل ونوضب اشياءنا؟ وبعدها نذهب للنزهة في المدينة.»

الحمام يقع بين الغرفتين. دعا ماريو زوجته ان تدخله اولا وبعد دقائق من خروجها من الحمام، راحت ترتدي فستانا من القطن الابيض وتسمع الماء ينهمر في الداخل وصوت ماريو يرنم اغنية معروفة.

سرحت ليندا شعرها ورفعته كذنب الحصان. وفجأة شعرت بيديها ترتجفان. ماذا كان يجري في داخلها؟ اثارة؟ خوف؟ لكنها اقتنعت اخيراً ان مجرد قضاء خمسة عشر يوما في هذا المكان الاسطوري ايقظت في داخلها انفعالات غريبة من

نوعها. لكن عليها ان تظل حذرة، فلا يجب ان تنسى ذلك.

طرق ماريو الباب ثم دخل إلى غرفة ليندا. كان يرتدي سروالا اسود وقميصا سوداء، بدا وسيما جدا.

«هل انت مستعدة؟»

مد لها يده وهو يتأملها بشكل واضح. وكان الاكتفاء باديا على وجهه. مدت ليندا يدها ولاول مرة منذ شهور عدة تشعر بالسعادة.

ولمدة ساعة تقريبا راحا يتنزهان على شاطىء البحر كان الجو مرحا. السباحون يتداعبون مع الامواج. اكلا بعض فاكهة البحر الطازجة ليخففا من حدة الجوع ثم جلسا الى السد ينظران حالمين الى البواخر الراسية. ومن وقت الى آخر كانا يضحكان بصوت عال عندما يشاهدان النوارس وهي تشك بطريقة بهلوانية باحثة عن بقايا الطعام، ثم تأبطا ذراع بعضهما البعض وعادا الى الفندق امام نظرات المتسكعين الذين اعتبروهما عاشقين.

كان الطقس شديد الحرارة، ولما دخلت ليندا الصالون الصغير في جناحهما، بدأ العرق يتصبب من كل انحاء جسمها. كانت متعبة وفي الوقت نفسه فرحة. وبينما كان ماريو يحضر

الشراب المنعش، شعرت برغبة في ان تشكره. قالت وهي تجلس باسترخاء على المقعد المريح:

كان نهاراً رائعا، افضل ان تكون رفيقي بدلا من ان تكون زوجي.»

«من دون انفعال او تأثر قدم ماريو لها كوب عصير. وبينما كانت تراقب تحركاته، تساءلت ليندا اذا كان ماريو قد غير رأيه فقط من اجل تهدئة تنبهها وتيقظها ويوهمها بشعور الامان الخادع. انه رجل ذو مزاج ناري ولا شك انه لم ير كابريللا منذ وقت طويل.

ابتسم لها بصراحة وقال:

«الصداقة، يا عزيزتي هي مثل الثمرة. انها بحاجة للنضج. لكن الصداقة التي تجمعنا ما زالت خضراء فجة وبحاجة الى وقت طويل لتنضج.»

ابتسمت ليندا ابتسامة ناعمة وامسكت اليد التي مدها اليها. فقال وهو يلاحظ السماء التي عمها الظلام بسرعة:

«حان الوقت كي تهيئي نفسك للعشاء. من الافضل ان نتناول الطعام باكرا، يا صديقتي. وهكذا سنتمكن من الافادة قدر الامكان برؤية الوادي.»

الفصل العاشر

لم تعرف ليندا ما الذي كانت تأكله من اطعمة وضعت على المائدة. هي وماريو كانا منغمسين في الحديث لدرجة انهما لم يعيا نظرات المعجبين من جميع انحاء المطعم.

سألها ماريو:

«حدثيني عن طفولتك. هل كنت سعيدة؟»

لمعان ناعم أنار عينيها الشفافتين وراحت تقص عليه بعضاً من سيرة حياتها:

«والداي كانا زوجين رائعين ومثاليين، دللاني كثيراً. ولم يكن لديهما غيري الى ان...»

توقفت فجأة واحمرت وجنتاها. قطب ماريو حاجبيه وسألها محتاراً:

«نعم؟ الا ان...»

تلعثمت وقالت:

«الا انهما... توفيا.»

«هل ماتا معاً مثل والدي؟»

«ليس تماماً، لكني خسرتهما في مدة ستة اشهر.»

«ربما ما كان يجب عليّ ان اطرح عليك هذه الاسئلة. انه موضوع مؤلم. احياناً افكر انك لم

تكوني باستمرار الفتاة الباردة، المتحفظة. آسف اني لم التق بك قبل المحن والمتاعب التي اثرت بك كثيراً.»

صمت قليلاً ثم اضاف:

«ما كانت آراء والدتك تجاه والد ويندي، فالامهات احياناً متحيزات. ووالدتك الم تر فيه ذلك الرجل المتطفل، الدخيل؟»

احمر وجه ليندا وقالت:

«كانت تحبه كثيراً.»

استغرب قائلاً:

«آه! وحسب رأيك، ماذا كانت وجهة نظرها لو عرفتني؟»

هذا السؤال طرحته على نفسها مراراً من دون ان تجد الجواب المناسب. لا شك انه كان اوحى اليها بالفضول والخشية في آن واحد ولكانت اعطت حكماً قاسياً على عائلة فالديفيا المتعجرفة، ذات التصرف المستبد. لكنها كانت لا شك اعترفت بأنهما يشكلان اسرة غير اعتيادية.

كان ماريو فارغ الصبر امام سكوت ليندا التي تنفست بعمق قبل ان تعلن قائلة:

«كانت والدتي امرأة شديدة الحساسية كمعظم الامهات، وخصوصاً امام الجمال الشكلي والجاذبية وسحر الحديث وحتى الى الاطراء لكن...»

«نعم، تابعي كلامك.»
قالت بعصبية:«لا شك انها لم تكن ستعجب بتصرفك تجاه كابريللا. بالاضافة إلى انه لا يمكنها اعتبار السعادة كنتيجةٍ للغنى والمال.»
«اذن لكانت فضلت رجلا فقيرا، مثل والد ويندي. أهذا ما تريدين قوله؟»
كادت ان تقول، انه يملك الثروة الحقيقية الوحيدة وهي ثروة القلب.
نهض ماريو فجأة وعلى وجهه إمارات الغضب ثم قال:
«انا لا استغرب إن تكوني خائبة الامل! واعتقد ان لوالدتك قسطا كبيرا من المسؤولية في هذه القضية. واعتقد انها اساءت الحكم. الاشخاص العاطفيون يخدعون بسهولة. فحساسيتهم المرهفة تجعلهم عميان امام الحقيقة.»
لم يتسن لليندا الوقت للاعتراض. أمسك ماريو بذراعها ودعاها لاجتياز غرفة الطعام والممر الى الخارج. فسألته ونفسها متقطع:
«الى اين تصطحبني؟»
«اشار الى سيارة أجرة فتوقفت قرب الرصيف، دفعها الى المقعد الخلفي ودخل قربها وقال للسائق:
«الى الملهى، من فضلك.»

ثم التفت الى ليندا واضاف بسخرية:«رمز الثروات المزيفة.»
وبرغم ان الوقت كان باكراً، كان الملهى يعج بالناس من جميع الجنسيات.النساء الانيقات كن يضعن المجوهرات والحلى. وحول الطاولات تزاحم الزبائن. في السقف تدلت ثريات الكريستال التي تنير الغرفة بنور براق. بالنسبة الى ليندا كان هذا الجو خرافيا وساحرا.
تقدمت ليندا امام لعبة التطابق ووضعت قطعة نقدية فيها وأدارتها.
«احمر، تسعة!»
صرخت ليندا مستغربة:
«ربحت، يا ماريو. ربحت.»
«تابعي اللعب.»
«لا افضل ان اتوقف الآن. هل ربحت ثروة كبيرة؟»
«ما يعادل الفي جنيه استرليني.»
« كل هذا! لم يسبق ان امتلكت اكثر من مئة جنيه.»
«صحيح؟ مادام هكذا، لا اريد ان يتجهم وجهك المتألق. دعينا نحتفل بالامر.»
اقترب من ليندا متابعا:
«سأحتفظ بالمال معي.»

في هذه اللحظة بالذات عرفت ليندا معنى الثروة الصغيرة. بامكانها ان تستعيد حريتها العزيزة على قلبها. بامكانها ان تشتري بطاقة سفر الى انكلترا وبطاقة لويندي. وان تستأجر لها غرفة وتعيش. وستجد لها وظيفة محترمة. قالت لاهثة:
«كلا. افضل ان تعطيني المال. حقيبتي الصغيرة بامكانها ان تسع كل هذه الاموال.»
اعطاها المال قائلا:
«كما تريدين.»
ولما خرجا من الملهى، استقلا سيارة اجرة وتوجها الى ناد ليلي حيث اختار ماريو انهاء السهرة. لم يكن المكان بعيدا ولم يستغرق الا دقائق قليلة.
كان شبه ظلام ناعم يعم المكان والديكور يذكر بحجرة صياد. الشباك الواسعة معلقة على الجدران والسقف وبعض الاصداف البحرية. وحول حلبة الرقص حيث يعزف الموسيقيون الالحان الخلابة وضعت الطاولات والكراسي من القش.
جلست ليندا وراحت تنظر الى الازواج الذين يرقصون على نغمات الموسيقى بينما راح ماريو يطلب الشراب. بعد قليل جاء الخادم يحمل صينية عليها الشراب وبعض المقبلات.
قال ماريو ساخرا:«يبدو انك تفكرين في شيء

ما، يا عزيزتي. الا تعدين خطة للتخلص مني؟»
فوجئت وراحت ترتجف وتقول:
«لا، ابدا.»
بطريقة ما كان ماريو يقرأ ما يدور في خلدها. عليها ان تضلله والا تبخرت آمالها سدى. قررت ان تغير الخطة فربما نجحت؟ فاشتبك نظرها بنظرة الحاد وهمست قائلة:
«هل تدعوني الى الرقص؟»
أجاب ماريو بطريقته الرجولية:
«طبعا . بكل سرور.»
وبينما كانت بين ذراعيه، ادركت انه لم يسبق لها ان وجدت في حلبة الرقص برفقة رجل في مقامه.
كان ماريو يضمها اليه بقوة فاحمرت وجنتا ليندا وهمس في اذنيها:
«اهدأي. وعدتني ان تحاولي جهدك كي تنسي زوجك الاول، هل ما زلت تتذكرين؟»
استرخت وتذكرت ان عليها ان تكون محببة ومتساهلة راضية اذا ما ارادت الوصول الى تحقيق هدفها. بعدئذ وجدت متعة في الرقص مع الذين حولها وبرفقة الراقص البارع. أخيرا عندما اعادها الى الطاولة كان وجهه يشع سعادة.
اخذ يدها وقال:«لأول مرة، هذا المساء، ارى فيك

امرأة جميلة، وليس زوجة ارغمت على الزواج منها. ما زال وجهك يحتفظ ببراءة الطفولة برغم المحن التي اعترضت حياتك، والآن، افهم سبب تصرف جدي تجاهك. يريد ان يحميك. عيناك الكبيرتان البريئتان تعكسان براءة لاشك فيها. لكن المرأة بطبيعة الحال مغوية بالرغم من قوة الرجل.»

اعترضت ليندا قائلة:

«لا انوي بتاتا تقليد النساء.»

شعرت بالاحمرار يعلو وجهها. أليس هدفها الوحيد ان تنسيه هذه الثروة التي تملأ حقيبة يدها. هذا المبلغ الذي يمكنها بواسطته ان تتدبر امرها؟

قال ماريو بصوت هادىء:

«انا اصدقك، يا عزيزتي.»

امضيا بقية السهرة في الرقص والكلام والتسلية. وبعد مضي وقت عبر ماريو عن لطفه الزائد. ولما قررا العودة الى الفندق بدأت ليندا تخشى على مقدرتها في تطبيق خطتها. كما ان ماريو بحاجة الى جهد كبير ليفي بوعده ومعاملتها كصديقة فحسب. لذلك كانت قلقة للغاية.

سيارة الاجرة التي اعادتهما الى الفندق كانت تجتاز الطرقات المهجورة بسرعة. وليندا الجالسة

بارتخاء في المقعد الخلفي تركت رأسها يرتاح على كتف ماريو الذي كان يضمها. لم يتبادلا الكلام طيلة الطريق. وبالرغم من المظهر الهادىء كان الجو متوترا. كل واحد منهما يشعر ان هذه الانفعالات والعواطف التي يحاولان كبتها ستنتهي بالتحرر. وماذا ستكون العواقب؟

وما ان دخلا الى جناحهما حتى همست ليندا وقد شعرت بالخوف:

«الساعة متأخرة. ارجو ان تعذرني، سأذهب الى فراشي في الحال.»

«لا، ليس في الحال. سنأخذ فنجان شاي.»

«لا اريد ان اشرب شيئا بعد الآن. دعني، ارجوك.»

جذبها نحوه بعنف وقال:

«لا يمكنك ان تنسحبي الى غرفتك الآن! لنبقى معا، حبيبتي. ستكون هذه الليلة ليلة شهر العسل. وستكون ليلة رائعة لم يفرضها علينا احد ولا حتى جدي...»

وبينما ارادت ان تعترض، راح يعانقها بعنف.لكن ليندا انزعجت منه وراحت تتخبط كحيوان جريح، لكن جهودها باءت بالفشل.

«تعالي، يا حبيبتي، ارتاحي وسأنتزع الطيف الذي يهدد ذاكرتك. سأبعد ذكرى هذا الرجل

الذي لم يعرف ان يفعمك حباً. لا تخافي من الشر، يا زوجتي الجميلة.»

توصلت اخيراً الى دفعه عنها وتراجعت بضع خطوات الى الوراء وهي ترتجف. وراحت تقول بسخرية:

«ألم تنس وعدك؟»

«شيء ما لم اعد اسيطر عليه. بعدما قدمت لي سحرك واغويتني حين كنا نرقص، بدأت تلعبين دور البريئة المهانة. ألم تتعلمي من مغامراتك السابقة؟ عليك ان تعرفي ان الانسان لا يبدأ بعمل ما اذا كان لا يريد الوصول الى نهايته.»

«لم ارتكب اي خطيئة. لكن تعلمت درساً كبيراً. اذا صدف واحببت انساناً من جديد يجب عليّ قبل كل شيء ان اعرف الثمن الذي سأدفعه.»

حدق بها لحظة وقال:

«كنت مجنوناً لأني نسيت انك، في كل الظروف، ستظلين محافظة على موقف ثابت.»

ودخلت ليندا غرفتها مسرعة

* * *

في صباح اليوم التالي، تناولا فطور الصباح معاً. وشعرت ليندا بارتياح لأن ماريو لم ينوه بالحوار الحاد الذي دار بينهما امس. غير انه

كان متحفظاً ومختصراً. وما ان انهيا الطعام، حتى قال ماريو بلهجة باردة:

«انا خارج. وسأعود في المساء. وانني اكيد بأنك ستملأين وقتك لهواً ومرحاً، أليس كذلك؟»

هزت رأسها. فتوجه نحو الباب. وفجأة شعرت بالخجل. الم تشجعه على المغامرة؟ غير ان هدفها ما زال هو نفسه وهو ان تعود الى انكلترا.

ارتدت ليندا ملابسها بسرعة. ثم توجهت الى مكتب الاستقبال وطلبت من الموظف هناك عنوان وكالة سفريات واسرعت الى العنوان. يبدو ان ماريو نسي كليا المبلغ الذي بحوزتها. ربما لم يدرك انها بهذا المبلغ يمكن ان تتخلص من سلطته.

بقي حاجز اساسي وهو وجود ويندي في المزرعة. لكنها فضلت عدم التفكير بهذا الامر ووضعته جانباً، لأنها تريد التأكيد بأنها تملك المال الكافي ثمن بطاقتي طائرة باتجاه انكلترا.

خرجت من وكالة السفريات مبتهجة الوجه وهي تحمل البطاقتين. وبقي معها حسب تعليمات الموظف ما يعادل 1500 جنيه استرليني.

ثم راحت تمشي في الطريق بحثاً عن مكان هادىء، فذهنها متوتر وهي تريد الهدوء لتنظيم الافكار داخل رأسها. اخيراً وجدت مكاناً يطل على المحيط.

راحت تستعرض موضوع ويندي ولم تجد الحل المنشود. فكرت ان تبرق لدون ادريانو وتقدم له سببا ما كي يرسل اليها ويندي الى فينا ديل مار. هذا معقول جدا، قال فالديفيا لديهم طيارتان تحت تصرفهم.

قالت لنفسها بصوت مرتفع:

«ولنفرض اني اقنعت دون ادريانو بارسال ويندي، لكن هل سأوقظ بالوقت نفسه الشكوك عند ماريو؟»

ولما حان وقت الغداء، تعبت ليندا من التحليل وقررت العودة الى الفندق. وبينما كانت تمر قرب مكتب الاستقبال، نادها الموظف قائلا:

«لحظة، يا سيدتي برقية لك وللسيد.»

لم تعير انتباها لاهمية محتوى البرقية، بل تناولتها منه بلا مبالاة. وبينما كانت في المصعد ألقت نظرة سريعة الى محتواها، وفكرت انها مرسلة اليهما من المزرعة.

فتحت البرقية بسرعة. وشعرت بصدمة: امنيتها العزيزة ستتحقق. اعادت قراءة بعض الجمل التي كانت تقول:

«ويندي لم تتوقف عن البكاء بغيابكما. سنرسلها اليكما. ستصل الطائرة الى فالباريز في تمام الساعة الثانية بعد الظهر.»

نظرت الى ساعة يدها. الموعد يقترب. وبلا تردد أوقفت المصعد ثم هبطت فيه بعد ان كبست على زر الطابق الارضي. وخرجت الى الطريق باحثة عن سيارة اجرة: لكن لسوء حظها كانت السيارات كلها مليئة بالركاب.

استعادت ليندا تعقلها وراحت تحلل الوضع. انها بحاجة الى ربع ساعة كي تصل الى المطار. لذا لديها الوقت الكافي لتحضير حقيبتها. وهكذا لن تكون بحاجة للعودة الى الفندق بعد لقاء ويندي. وحتى تصل ويندي، تستقل تاكسي الى مطار سنتياغو الدولي. وهناك تنتظر موعد طائرتها الى انكلترا.

عادت الى الفندق وفي اقل من 20 دقيقة جمعت ما تحتاج اليه وحملت حقيبتها بيدها ودخلت المصعد من جديد. وبهدوء كبير اجتازت الممر وخرجت، هذه المرة الحظ كان معها. فقد وجدت سيارة اجرة من دون اي انتظار.

قالت للسائق:

«الى المطار. اسرع من فضلك.»

بعد ربع ساعة وصلت الى المطار. دفعت للسائق وتوجهت الى الشرفة المطلة على المدرج حيث بامكانها ان ترى فالديفيا. وبدأ الانتظار الذي بدا لها بلا نهاية. بعصبية، كانت

تسترق النظر الى ساعة يدها بشكل متقطع. فكرت بماريو الذي لن يعرف اين تكون. غير ان القلق بدأ يحتلها. اذ كانت تخشى ان يظهر هذا الرجل في اي لحظة.

من بعيد هبطت طائرة فالديفيا، فأسرعت الى المدرج. نزلت بيللا من الطائرة حاملة ويندي بين ذراعيها. شكرتها ليندا لاهتمامها بويندي فأكدت لها بيللا قائلة:

«لا شيء، سيدتي! الطفلة بكت كثيراً في غيابك ولا احد تمكن من مؤانستها حتى الكونت نفسه وهو الذي قرر نهائيا ان يرسلها اليك.»

حملت ليندا ويندي بين ذراعيها وقالت متعبة:

«حبيبتي الصغيرة المسكينة.»

فجأة لمعت عينا الطفلة المبللتان وارتسمت ابتسامة على وجهها. كأن شعاع شمس يخترق الغيوم. ضمتها ليندا الى صدرها وراحت تداعب خصلات شعرها الشقراء ثم همست تقول:

«لن اتركك ابدا بعد الآن، اعدك بذلك. من الآن وصاعدا سنبقى معا الى الابد.»

لوح الطيار، بيدرو، بإشارة من يده الى ليندا، فردت عليه بالابتسام ثم لاحظت انه لم يغادر الطائرة، فسألت:

«ما هي التعليمات، يا بيللا؟»

«انا تحت تصرفك، سيدتي. اذا كنت بحاجة الي، سأبقى والا سأعود الى المزرعة.»

«اشكرك، لكن بامكانك العودة.»

غياب ماريو اقلق الخادمة ظاهريا، لكنها لم تجرؤ على طرح السؤال فصعدت الى الطائرة وادار بيدرو المحرك. وبعد قليل راحت الطائرة تسرع. وانتظرت ليندا اقلاعها قبل ان تعود الى المطار.

فجأة شعرت بقدميها تخوران.

عليها ان تحمل ويندي والحقيبة وتتوجه الى محطة سيارات الاجرة.

جاء السائق ليساعدها، فتلعثمت وهي تقول:

«الى مطار سانتياغو.»

وبينما كان يضع الحقيبة في الصندوق جلست ليندا في المقعد الخلفي وضمت ويندي الى صدرها بشدة. كانت فارغة الصبر لكن السائق لم يكن مسرعا في قيادته. لسوء حظها وقعت على سائق بطيء! استرخت ليندا واختفت التجاعيد من جبينها. وقالت وهي تضم اختها:

«بعد قليل، يا ويندي، نصبح بعيدين عن آل فالديفيا وليس بوسع احد منهم ان يطالنا.»

بعد ان غادر الساحل دخل السائق الى قلب الاراضي. شعرت ليندا باستقرار داخلي واطلقت العنان لمخيلتها. بعد قليل ستتمتع بالحرية

المنشودة. حتى ولو اضطرت للبقاء حتى نهار غد قبل ان تستقل طائرتها، لكنها ستصل انكلترا بعد اقل من 24 ساعة! ومتى وصلت الى بلدها، ستعمل جاهدة لابطال زواجها، دليل عدم اتمامه. وهكذا تكون قد دمرت السلسلة وبامكانها ان تحلم كما تشاء بالرجل المثالي الذي تأمل ان تلقاه يوماً من الايام.

ومرة اخرى راحت تتخيل رجل احلامها. لم تتمكن من تخيل مظهره الخارجي. فملامح وجهه غامضة كأنها غارقة في ضباب كثيف. ذا طبع قاس وارادة لا تتزعزع.

وبلحظة البرق راحت صورة ماريو تتراقص امام عينيها. لكنه كان مختلفاً كلياً عن رجل احلامها. عند ماريو السخرية والعجرفة والانانية تتغلب على مزايا القلب. ومثل آل فالديفيا، فالحنان عديم الوجود.

بعد ساعتين وجدت نفسها في بهو مطار سانتياغو. سجلت حقائبها والبطاقات بيدها، فلم يبق لها الا الانتظار. حسب تعليمات موظف مكتب الاستعلامات الرحلة المقبلة الى لندن ستعلن عما قريب.

وبما ان ويندي تشعر منذ برهة بانزعاج راح يقوى مع مرور الوقت تنبهت ليندا في خجل ان

شقيقتها جائعة. اما هي فلم تكن تشعر بالجوع بتاتاً...

قالت لها وهي تلامس خصلات شعر ويندي الشقراء:

«لو تعرفين كم احسدك. بالنسبة اليك الحياة سهلة. تعالي، سآخذك الى المطعم.»

ولئلا تلفت الانتباه اختارت ليندا مكاناً في زاوية المطعم. وبعدما طلبت احضار البيض المقلي، راحت تنتظر عودة الخادم بفارغ الصبر. ومن حسن حظها كان بامكانها الاختباء وراء ستار من اشجار النخيل المزروعة في آنية فخارية. اخيراً وصل الطعام، لكن ليندا لم تتذوقه بسبب شدة توترها. كانت يداها ترتجفان واهتمت باطعام ويندي. فوجئت ليندا عندما اعلن المذيع داعياً ركاب لندن للتوجه الى قاعدة الاقلاع.

«يا للهول! حان الوقت للذهاب.»

اخذت ويندي بين ذراعيها وخرجت بسرعة من المطعم واخذت طريق الركاب الذين شكلوا صفاً طويلاً. بعد ساعات وتصل الى انكلترا الهادئة التي ما كان يجب ان تغادرها.

قدمت البطاقتين للمضيفة المبتسمة وكانت على وشك اختراق الحاجز عندما شعرت بيد قوية تمسك بكتفها وسمعت صوت ماريو وراءها

يقول للموظفة:«زوجتي غيرت رأيها.لن تأخذ هذه الطائرة.»

ذعرت ليندا وشاهدت رحيل المسافرين. المفاجأة اخرستها.

فقال ماريو بعد قليل فيما وجهه متجهم:

«لم اكن اعتبر انك امرأة ذات شأن كبير، لكني لم اكن اعرف انك ستحاولين خداعي بهذه الطريقة. لقد تصرفت تصرفا شنيعا.»

التفتت ليندا اليه وقالت:

«لماذا لا تدعني ارحل؟»

«هذا لا يغير الامر. لو لم ألحق بك في الوقت المناسب، لقلبت الدنيا حتى اجدك في انكلترا نفسها.»

كانت مضطربة لدرجة انها لم تلاحظ شحوب وجهه والشرر المتطاير في عينيه.

... وعادوا الى فالباريزو. ولما وصلوا الى الفندق في فينا ديل مار كانت ويندي نائمة في احضان ليندا. فطلب ماريو من مكتب الاستقبال أن يضعوا سريرا صغيرا في غرفة ليندا، ووضعا الطفلة فيه. ثم امسك ماريو بمعصم ليندا بشدة مرغما اياها ان تنظر اليه. ثم قال:

«إذن! اعتقد ان عليك ان تشرحي لي سبب تصرفك القبيح هذا...»

دفعها الى الصالون واجلسها بقوة على المقعد وقال:

«تستحقين العقاب! كيف تجرأت، انت زوجتي، ان تقومي بهذا العمل، ماذا سأشرح لاصدقائي في المزرعة؟ هل اقول لهم انك هجرتني من السأم؟»

«لست بزوجتك.»

بحركة من رأسها ابعدت شعرها الى الوراء واضافت:

«وانا اسخر بما يفكر به اصدقاؤك.»

امسكها بكتفيها ورفعها عن المقعد من جديد وقال بلهجة تهديد:

«لقد طفح الكيل، يا زوجتي الجميلة. ارى اني كنت متسامحا معك. اعطيتك الوقت كي تنسي والد ويندي، لكنك لم تقدري موقفي.»

لما تركها، نهضت واقفة وقالت وهي ترتجف كليا:

«ماذا يعني ذلك؟ أي عذاب ستكبدني؟»

«لا شيء. سنتناول العشاء هنا في الصالون، انت وانا ثم نقضي السهرة معا كي نتعرف على بعضنا البعض بالتفصيل! لذا اطلب منك ان تذهبي الى غرفتك وتغتسلي وتغيري ملابسك. بامكانك مثلا ان ترتدي الفستان القمحي وتضعي عقد الياقوت حتى اتذكر ان ما أخذه سبق ودفعت ثمنه.»

ادار ماريو ظهره وانسحب الى غرفته. وظلت ليندا مكانها مدة طويلة من دون حراك. بعد الآن لا شيء يمنع زوجها من الثأر منها. قاتمة الوجه توجهت الى الحمام وراحت تحضر نفسها كما طلب منها. وبعد قليل لما وافاها الى غرفتها، لاحظت ليندا ان مزاجه لم يتغير. وللمناسبة كان يرتدي سترة بيضاء ذات اناقة رفيعة تظهر كتفيه العريضين.

قال بقسوة:

«هل انت حاضرة؟»

اجابت كأنها ذاهبة الى حبل المشنقة:

«نعم.»

الطعام بدا لها من دون طعم وراحت ترغم نفسها للتحدث عن اشياء سخيفة مع ماريو. وبعدما تناولا القهوة، راحت ليندا ترتجف مثل عصفور مسجون.

سألها وهو يلمس كتفها العاري:

«هل تشعرين بالبرد؟»

«كلا.»

اذن، هذا سيسهل عليّ مهمتي.»

جذبها نحوه وراح يعانقها بقوة رهيبة كأنه يريد اهانتها. لم تستسلم ليندا له. لكن ماريو تصرف بحنان فجأة مما غير ردة فعلها وراحت تعانقه

وتهمس الكلمات الحنونة في اذنه. نهض وحملها بين ذراعيه حتى غرفته. ثم اغلق الباب برجله ومن دون تردد وضعت يديها حول عنقه وهو يضمها بشغف اليه.

بعد ساعات، استيقظت ليندا وبهدوء توجهت الى سريرها حيث ظلت ممددة، تحدق بسقف الغرفة حتى الفجر.

www.rewity.com

الفصل الحادي العاشر

في اليوم التالي، استيقظت ويندي باكراً جداً وشعرت ليندا بارتياح لكونها ستنصرف الى القيام بمهمات غير اعتيادية. فكان عقلها وذهنها منصبين على الطفلة، لذلك لم تفكر بشيء آخر. وبعدما غسلت شقيقتها واطعمتها، نزلت الى بهو الفندق ثم خرجت بها الى نزهة في الحديقة المحيطة بالفندق. الازهار المرطبة بالندى تملأ المكان ويفوح اريجها حتى القلوب. لم يكن هناك وجود لأحد وراحت ليندا تفكر بهدوء في احداث مساء امس.

لكنها كانت تشعر بانزعاج يحتلها كلما فكرت بأنها ستلتقي بعد قليل بماريو. الاكتفاء الذي ستراه على وجهه سيملأها خجلا...

قبل ان تستيقظ ويندي، اخذت ليندا دوشا بارداً علها تطفىء النار المشتعلة بداخلها. وكلما فكرت بالدفء والنشاط والاضطرام الذي احست به عندما استسلمت لعناقه، يراودها ندم كبير. كانت ترغب في الهرب بعيداً ورمي نفسها في المحيط لتغتسل من كل هذه الاهانات...

لكن هناك ويندي... من اجلها، على ليندا ان

تواجه الحقيقة، اين ماريو في هذا الوقت. ربما كان في صالون جناحهما، ينتظرها كي يتناول فطور الصباح.

بدأت تسمع الاصوات من مطبخ الفندق وبخطى بطيئة دخلت الى بهو الفندق وصعدت الى جناحهما. وما ان كادت تدفع باب الصالون حتى انفتح الباب بعنف وظهر من ورائه ماريو.

بعصبية حرك يده في شعره وقال بلهجة قاطعة:

«اين كنت اذن؟»

«كنت... اخذت الطفلة في نزهة قصيرة... في حديقة الفندق.»

لم تجرؤ على التحديق بوجهه لئلا يشتبك نظرها بنظره ولم تجرؤ حتى على التحديق بأزرار قميصه.

«سنعود الى المزرعة، حالاً بعد الفطور. من فضلك كوني جاهزة بأسرع ما يمكن.»

قالت وهي تدخل الصالون:

«اتفقنا.»

كانت تريد التوجه الى غرفتها لولا ويندي التي راحت تزقزق كالعصفور وتضرب بيديها تطلب الذهاب عند ماريو. ابتسم لها ماريو واقترب منها قائلا:

«صباح لخير، يا طفلتي الجميلة! يسرني ان ارى

في العائلة من لا يعاملني باحتقار. الا يمكنك ان تقنعي امك ان تتصرف مثلك...»

لم تقدر ليندا ان تمتنع عن الارتجاف داخلياً. لقد شدد ماريو على كلمة «امك». من المستحيل ان يكون قد عرف الحقيقة.

تناولا الفطور في جو متوتر. وفي نهايته، دفع ماريو صحنه جانباً وراح يشرح لليندا ما يتوقعه منها:

«حين نعود الى المزرعة، ستحاولين جهدك ان تخفي الكراهية العميقة التي تشعرين بها تجاهي.

في المساء، تكلمت مع جدي وأكد لي سفره الى اسبانيا، كما كان هذا متوقعاً حصوله، بعد عودتنا. وبعد ان يغادر المزرعة، بإمكانك ان تتصرفي بتحفظ وبرود، كما تشائين... لكن قبل ذلك عليك ان تبدي بشوشة. لقد افهمني بوضوح انه ينوي ان يراني ادير المزرعة. وحالياً، رجال القانون يضعون صيغة قانونية كي يصبح الارث رسمياً. وحالما تصبح المزرعة بتصرفي، وحسب الصفقة التي عقدناها، لن يعود هناك سبب لوجودك.»

توقف لحظة ثم تابع يقول:

«وبطبيعة الحال، لا يمكنك ان تستعيدي حريتك في الحال. لا يجب ان نخيب ظن جدي في الايام

الاخيرة من حياته ولا يجب ان ندعه يعرف اننا خدعناه.»

همست ليندا بصوت مخنوق بعد ان سمعت ما يقوله:

«هل هذا أمر؟»

ثم استجمعت شجاعتها وتابعت:«لست انت من يعطيني الاوامر... ان تحقيق مخططك لا يتم الا بارادتي.»

وافق ماريو على ما قالته بنظرة جليدية واجاب:

«صحيح. لكن لن ترتكبي جنونا في الوقوف ضدي ومقاومتي...»

لم تكن ليندا تجهل انه بأمكان ماريو ان يكون عدواً قاسياً. ألم يجبرها على الاستسلام له؟ لكن هل بإمكانه معاكسة قلبها وروحها...

«سأفعل ما تريده. ليس امامي اي خيار. ما دمت حذقا اكثر مني.»

«انت حقا عديمة الذكاء. ان كل العاملين في الفندق عرفوا انك استلمت رسالة مهمة وانك خرجت حاملة حقيبتك. لقد اعلموني في الحال بغيابك وكان من الصعب علي ان اعرف مكان وجودك. على كل حال، كل هذا بسبب خطئي... كان يجب ان اعرف انك ستستعملين هذا المال لتنفيذ مخططك. لكن لم اكن اعرف انك تبحثين عن الهرب وعن تضليلي.»

رفعت ليندا عينيها ورأت الاكتفاء مرتسماً على وجه ماريو، لكن لم تكتشف القناع الذي لا تعبير فيه.

اعتذرت وغادرت الطاولة وكادت تدخل غرفتها عندما سمعت صوت ماريو وراء ظهرها يقول:

«قولي قبل ان تذهبي... أليس هناك ما اجهله وتعرفينه انت وحدك؟»

التفتت ليندا فجأة باندهاش وظهرت على وجهها ملامح قلق فأجابت:

«كلا... لماذا تسأل هذا؟»

راح ماريو يرمقها بنظراته فشعرت بالذنب ولم تقدر ان تخفي اضطرابها، فاحمرت وجنتاها فقال:

«انت تحمرين، هل لأني اشك فيك خطأ ام لانك تشعرين بالخجل؟ هذا ما اتساءله.»

ثم ادار ظهره واختفى.

خلال الرحلة ظلا صامتين. ولما هبطا من الطائرة، كان دون ادريانو في المدرج يستقبلهما.

«آه ليندا! لقد ارسلت لك ويندي مجبرا. لكن آمل الا يكون هذا سبب اختصار سفرك؟»

«كنا قد قررنا موعد عودتنا قبل وصولها. في الواقع لسنا بحاجة الى عطلة، فالحياة هنا في المزرعة مريحة ومفرحة.»

انار وجه دون ادريانو الذي قال:«كم انا سعيد ان اسمع ذلك منك، يا عزيزتي. لكن، هل كانت اقامتك في فينا ديل مار ممتعة؟»

التفت الى ماريو الذي قال:

«صحيح ان الاقامة كانت قصيرة، لكنها كانت حقا رحلة شهر عسل موفقة.»

احمرت وجنتا ليندا، فضحك دون ادريانو وقال:

«حسنا، والآن بإمكاننا ان نتكلم في أمور العمل.»

ثم وجه كلامه الى ليندا قائلاً:

«ارجوك ان تعذرينا، لكن علينا ان ننفرد لبعض الوقت. كاتب العدل هنا وبانتظار توقيعنا. لن يأخذ ذلك وقتا طويلا. لكني سأبقى مع ماريو بعض الوقت. فهناك امور عديدة اريد ان اناقشها معه قبل رحيلي. لقد حددت سفري غدا، بعد الروديو. هذه الرحلة تعز على قلبي وليس هناك مجال لتأخيرها بعد الآن.»

اكتشفت ليندا بعد ذلك ما يعني الروديو، اذ كان الموضوع الاساسي المتداول حاليا في المزرعة. كارمين وبيللا اعلمتاها ان الروديو كناية عن مظاهرة ذات اهمية كبرى، فيها يقوم الرعاة بالتمارين الخطرة على ظهور خيل لم تدرب بعد. واكدت لها بيللا قائلة:

«يجب ان يكون المرء شجاعاً وقوياً وماهراً. اني احب الروديو. الناس يأكلون ويشربون ويغنون. ويعم المكان الضجيج والضحك. كذلك هناك العازفون وقيثاراتهم والاكورديون و...»

تنفست الصعداء ثم اضافت:

«لكن ماأحبه اكثر من اي شيء آخر. هو عندما يدخل الثور في الحلبة.»

غير ان ليندا لم تكن تصغي الى تعليقات الخادمة. كانت شاردة الذهن تفكر في المستقبل.

ان غياب دون ادريانو الطويل سيكون له الاثر على حياتها. لا شك ان ماريو سيعود الى خروجه الليلي. فهي تشعر بذلك في صميم قلبها وترى ان وجود كابريللا يعم الجو ويحيط بالمنزل بطريقة سرية.

لاحظت فجأة انها تضغط بشدة على معصميها وان فكها يتقلص. فوجئت بعنف ردة فعلها وقالت بصوت مخنوق:

«لكن،انسي هذا الرجل.»

انتفضت ويندي وراحت شفتاها ترتجفان. اسرعت ليندا لمؤاساتها وراحت تقول لها:

«لا تبكي، يا حبيبتي. انا غاضبة حقاً... لكن ... لا افهم ما الذي ترينه في هذا الرجل، وتنظرين اليه بعينين ملتهبتين.»

غصت ويندي، فراحت ليندا تقهقه ضاحكة. في المكتب الواقع تحت غرفة ليندا، كان دون ادريانو رافع الرأس يسمع ضحكتها. وفي حركة انيقة، وقع على المستند امام كاتب العدل. ثم التفت الى ماريو وابتسم له قائلا:

«يبدو ان زوجتك سعيدة. هذه القهقهات تؤكد قناعتي. الآن، يا بني، عليك ان تعترف انني لم اخطىء في جلب هذه الفتاة الى هنا.انتما تشكلان زوجين مناسبين.»

فضل ماريو الموافقة على كلام جده، برغم معرفته ان ضحكات ليندا سيتبعها البكاء والنواح.

«انا اخضع لمهارتك. لا يوجد انسان غيرك قادر على اختيار الزوجة المناسبة للرجل المناسب. هذا واقع اكيد. آمل ان احقق الثقة التي وضعتها بي وان اكون وريثك الكفؤ.»

«في المساء سنحتفل قبل سفري. واصر ان يكون هذا العشاء محفورا في ذاكرتي... هذا سيعزيني خلال غيابي.»

هز ماريو رأسه موافقاً وقال:

«طلبت من ليندا ان ترتدي اجمل فستان لديها.»

اطاعت ليندا تعليماته حرفيً وفي المساء كانت ترتدي فستانا من الموسلين الازرق الناعم فبدت كأنها عائمة على غيمة.

قال لها ماريو:«دعينا نتصرف بلياقة نقنع جدي بأننا اخيرا وقعنا في غرام بعضنا البعض سيذهب مرتاح البال وسعيد. لا تستغربي اذا تصرفت معك بطريقة حميمة وعائلية. واذا رأيت ان هذا التصرف في غير مكانه، رددي لنفسك انها المرة الاخيرة التي سأتصرف بها هكذا. وهكذا يكون بإمكانك تحملهااكثر.»

وتذكرت هذا الكلام وهي تدخل الصالون حيث كان دون ادريانو يتناول المقبلات مع ماريو.

عندما شاهد ليندا، قام ماريو بوضع كوبه جانباً وراح للقائها. قبلها وأمسكها من خصرها، فراحت ترتجف منفعلة وهمس في اذنها قائلا:

«انت رائعة الجمال، يا زوجتي الحبيبة.»

كان يلفظ هذا الاطراء بصوت عال كي يسمع جده ذلك. ثم انحنى وعانقها ببطء وشغف.

وفكرت ليندا:

اذا كان هذا العناق مقدمة لما سيحل هذا المساء، فماذا تبقى لآخر السهرة؟

ضمها اليه وتقدم من دون ادريانو مبتسماً بفخر واعتزاز.

وقف الجد بدوره وقبل ليندا وقال:

«الآن، انا اسعد رجل في العالم.»

ابتسمت له ليندا وردت على قبلته بالمثل وقالت:

«انت الرجل المتفهم والقوي، لم اتعرف على مثلك من قبل.»

«لم تندمي لأنك تزوجت من حفيدي، أليس كذلك؟ لكن هذا السؤال في غير محله. يكفي النظر اليكما. كأنكما عاشقان.»

قاطع ماريو الحديث قائلا:

«ماذا تحبين ان تشربي يا حبيبتي؟ شراب الورد مشروبك المفضل، أليس كذلك؟»

«اتذكر، يا حبيبي، آخر مرة شربنا منه؟ كنت قد ربحت مبلغا من المال وذهبنا بعد ذلك للرقص. كان ذلك عاطفياً... ولما عدنا الى الفندق كنت كأني اعيش حلما.»

«وتلك الليلة التي قضيناها معاً لا يمكنني ان انساها اطلاقا. أنها في ذاكرتي الى ا لابد. مثل حواء كنت ساحرة، ورائعة... ومبهمة.»

ابتسما لبعضهما البعض ببرود بينما كان دون ادريانو يقهقه ضاحكا ثم قال:

«ألم اعدك بذلك، يا ابنتي؟ عندما يواجه حفيدي لغزا، يريد معرفته في الحال. وهذا الحب للالغاز يعود الى طفولته النضرة وما زال محتفظا به حتى الآن. والآن لنتناول العشاء اني اشعر بسعادة كبيرة تفتح الشهية على الطعام. أنوي الافادة قدر الامكان من هذه الوجبة العائلية الاخيرة.»

خلال العشاء بذلت ليندا كل جهدها ان ترد على كلمات ماريو المبطنة. ولم يشكِ دون ادريانو بصحة هذه الكلمات. لكن شيئاً فشيئاً اصبح الجو متوتراً واعصاب الزوجين بدأت بالانهيار. الا ان دون ادريانو المتعب نام في مقعده. واغتنمت ليندا نوم دون ادريانو، فراحت تعبر عن غضبها قائلة لماريو:

«لم اعد احتمل كل هذا الكذب. سأعود الى غرفتي.»

«يكون ذلك اصدق ما فعلته في هذه السهرة.»

ادارت له ظهرها وكادت ان تنسحب عندما امسك بها ماريو من خصرها، ورمقها بعينيه السوداوين المشرقتين في عينيها الزرقاوين فارتعشت فقال:

«لقد لعبت دورك باتقان. انت ماهرة عندما تريدين خداع الغير... الآن، ارجوك ان ترحلي.»

كادت ان تتعثر وهي تمر قرب دون ادريانو الذي كان يغط في نوم عميق.

عند منتصف الليل، سمعت بوضوح صوت خطوات على الشرفة مباشرة تحت نافذة غرفتها.

طقطقة مهاميز كانت الخطوات تتوجه نحو الاسطبل. وقفت ليندا وراحت تصغي بعد قليل سمعت صوت حوافر جواد يخرج لتوه من اسطبله. امتطاه الرجل وولى به بعيداً.

اسندت ليندا رأسها على الوسادة فريسة انزعاج عميق لا يفسر.

استيقظت ليندا عند الفجر على اصوات آتية من الخارج.

كان الرعاة قد انهمكوا في تحضير الحلبة، الاسيجة الطويلة البيضاء المغلفة بالقش تذكر بسلة الغسيل الكبيرة. وتدريجياً بدأ الفرسان يجتمعون حول السياج. كانوا يرتدون لهذه المناسبة البانشو الملون والقبعات العريضة والسراويل الجلدية السوداء والاحذية العالية. وكانوا يمتطون جيادهم بفخر.

بعد قليل رأت ليندا جمهور المشاهدين يزداد ليحيط الحلبة. وبرغم انهماكهم قام الرعاة بتحية المرأة الانكليزية وويندي التي تشبهها بشعرها الاشقر وعينيها الزرقاوين. ومن المزارع المجاورة بدأ تهافت الفرسان الجدد الذين يشتركون بكل احتفالات الروديو في المناطق المجاورة ويأتون من كل انحاء المنطقة. السيارات ملأت الساحة. وكان جيران دون ادريانو وعائلاتهم ومعظمهم من الملاكين الكبار، يتهافتون بأعداد كبيرة لحضور الاحتفال.

غير ان ماريو لم يظهر بعد. قرب موعد الاحتفال وبدأ الاعلان بالعرض الاول، وجاء دون ادريانو

ليستعلم من ليندا عن تغيب حفيده، لكنها لم تقدر ان تفيده بشيء.

تلعثمت وهي تقول:

«ليس من مهمة ماريو ان ينظم الاحتفال!»

وبينما كانت تتظاهر باللامبالاة، كانت ليندا تجول بنظرها بين الحضور علها تلمحه بينهم. لكنها اقتنعت اخيرا ان ماريو ليس موجودا هنا. قررت الا تفكر فيه وتلقي اهتمامها كليا على الحلبة حيث بدأ العرض الاول. وكان كناية عن دعوة للرعاة ان يلتقطوا عجلا ويمددوه ارضا ويربطوه بقوائمه الاربعة.

والعرض الثاني كان اكثر اهمية من الاول. وهو امتطاء الخيل من دون سرج. توجهت ليندا برفقة دون ادريانو الى ممر ضيق مبني من حواجز عالية معدنية حيث يربط الحصان قبل ان يطلق داخل الحلبة. يكون الحصان معصوب العينين بمنديل وبالتالي لا يمكن ان يرجع الى الوراء، مما سيجعله يقوم برفسات عنيفة.

تسلق احد المنافسين الحاجز وشد الحبل بقوة وقفز على ظهر الحصان. في الحال، سحب احد مساعديه الرباط عن عيني الحصان وفتح الباب بواسطة حبل. ركض الحصان بعنف في المساحة امامه آخذ فارسه في عجلة رهيبة.

بالكاد تمكنت ليندا من رؤية المنافس الاول لأنه اجتاز الساحة بسرعة واصبح من الجهة الثانية من الحلبة. صراخ فرح صدر عن الحضور واحتل الحماس كل واحد منهم.

شعرت ليندا فجأة بجفاف في حلقها. هذا الفارس الوقح الذي يقوم بكل جهده كي يبقى على ظهر الحصان، كان...ماريو بالذات! وراحت تنظر اليه بعينين قلقتين وهو يحاول جهده كي يحافظ على توازنه، يتمايل الى الأمام وإلى الوراء، لكنه كان مسيطرا على الوضع تماما.

اطلق الجمهور صرخة كبيرة، لأن الحصان بعد ان قفز قفزة هائلة، وقع ارضا بكل زخمه. اخفت وجهها بيديها خائفة ان ترى ماريو مصابا تحت الحصان غير ان التصفيق صعق اذنيها، فتحلت بالجرأة وفتحت عينيها. كان ماريو ما يزال ممتطيا على الحصان ومحاطا بفارسين آخرين يحيي الحضور ويبتسم مظهرا شجاعته الخارقة. وبهدوء خرج من الحلبة.

كانت ليندا ترتجف في كل انحاء جسمها. فابتعدت عن الحلبة وقدماها خائرتان. وعلى بعد خطوات من الحلبة لاحظت وجود مقعد فارغ، فجلست عليه بثقل، ثم جلست ويندي على العشب امام قدميها.

كانت مضطربة حتى اعمق اعماقها، فريسة غموض كبير وحاولت جهدها ان ترتب افكارها وأن تحلل ما حدث الآن، منذ قليل، وان تقاوم نفسها كي لا تبكي.

انها تحب الرجل الذي كانت تعتقد حتى اليوم انها تكرهه! هذا الرجل المثالي الذي ما زالت ملامحه غارقة في ضبابٍ كثيفٍ، اصبح له الآن وجهاً وفماً ساحراً وانفاً رفيعاً وعينين سوداوين دافئتين، وخدين لوحتهما الشمس وابتسامة لا تضاهى وتكاد تذيبها. اما صوته فهو منخفض ورنان. وما زالت ليندا تحفظ في اذنيها صدى كلماته الناعمة التي راح يهمس بها قرب عنقها تلك الليلة التي امضياها في فينا ديل مار.

اطلقت تنهيدة نائحة وشدت يدها على جبينها. كيف كانت جاهلة حقيقة مشاعرها. وراحت تخلط الكره بالحب؟

منذ متى احبته؟

راحت تبحث في اعماق ذاكرتها. وادركت بذعر انها، منذ اللقاء الاول، شعرت نحوه ببعض الانجذاب اقوى واكبر، ينمو تحت غطاء من العدائية الواضحة.

كان يكفي ان يهدد حياة ماريو خطر ما كي تعي ليندا حقيقة مشاعرها تجاهه. وفي الوقت

الحاضر كانت تخاف الا تعرف سعادة الحب من جديد.

منذ متى احبته؟

ولدى انغماسها في افكارها نسيت مراقبة ويندي التي زحفت على العشب حتى وصلت الى حاجز القش الذي يحيط بالحلبة. ولما ادركت ليندا الامر، كان قد فات الاوان... فقد اختفت ويندي داخل فتحة صغيرة تطل على الحلبة. ارادت ليندا الصراخ لكن صوتها ظل داخل حنجرتها. اسرعت نحو الحلبة وراحت تحاول الدخول اليها من وراء الحاجز. اصوات مرعبة صعدت من الحضور. ولدى رؤية المنظر امامها، راح قلبها يخفق بسرعة.

وسط الحلبة كان ماريو ممتطياً حصاناً ويواجه ثوراً وحشياً. وفي هذا الاستعراض كان عليه ان يبرهن عن شجاعة ومرونة ليرغم الحيوان ان يلتف حول بيرق غرز على الجهة الثانية من الحاجز.

لكن، في هذا الوقت بالذات، لم يكن المتفرجون مهتمين بمهارة ماريو. انما مثل ليندا، كانوا مذعورين ويحدقون بالطفلة التي تجتاز الحلبة وهي تحبو. لم تكن الطفلة تعي الخطر، انما تريد لفت نظر ماريو اليها، لكن ماريو كان منغمساً بمهمته ومديراً اليها ظهره. اطلقت ليندا

صرخة ثاقبة، فالتفت ماريو وصرخ:«يا الهي.»
هذه الصرخة المؤلمة مزقت صمت الموت الذي كان يعم الحلبة، قفز ماريو عن الحصان واسرع نحو ويندي التي كانت تزحف بهدوء. وفي هذا الوقت بالذات هجم عليه الثور.
اغمضت ليندا عينيها وفقدت وعيها.
ركض الرعاة الى الحلبة فترك الثور فريسته وهجم بصورة عمياء نحو الجمهور الملتف حوله. تجمع الناس حول ليندا. وحملها موظفو دون ادريانو الى المنزل ووضعوها في سريرها. ثم وضعوا على جبينها المناشف المبللة وراحوا يرغمونها على التنفس.
عندما عادت ليندا الى وعيها، اطلقت زفرة اليمة من شفتيها قائلة:
«ماريو...»
اجابها بصوت مختنق:
«انا هنا، يا حبيبتي.»
بالنسبة الى ليندا، التي كانت مقتنعة انها خسرت اعز انسان في حياتها، كان صوته صدى آت من البعيد... فتحت جفنيها بصعوبة ولم تفكر بكبت فرحها، بل ان بريقا قويا مزق الطيف الذي كان يعتم نظرها.
اضاف ماريو بهدوء وهو ينحني فوق سريرها:

«انت بحاجة الى الراحة. الصدمة كانت قوية عليك... مازلت ضعيفة. سآتي لأراك بعد قليل.»
«بيللا وكارمين احاطاها بحنان. لكن ليندا فضلت الصمت. حمل ماريو ويندي بين ذراعيه وتوجه نحو الباب. وقبل ان يجتاز العتبة التفت مرة اخيرة الى ليندا، ثم دخل الممر ولم تعد تسمع الا طقطقة مهمازه. هذاالصوت ظل يرن في اذنيها مطولا حتى غطت في نوم عميق. ولما استيقظت بعد ساعات عاد الخوف يهددها. نهضت من سريرها ووضعت روبا عليها وراحت تفكر كم سيسخر منها ماريو، لأنه لا يمكنه ان يتجاهل طبيعة عواطفها تجاهه. وهذا سيقوي عزيمته على الثأر منها.
عند العصر جاء ماريو يتفقدها. كان جالسة امام النافذة المفتوحة على مصراعيها تتمتع بالريح المنعشة المليئة برائحة الزهور. سمعته يدخل، لكنها لم تقم بأي حركة. اقترب منها، فشمت رائحة عطره. لا شك انه استحم لتوه.
حدثها بصوت منخفض حتى لا تفاجأ. لم تفاجأ بل ظلت محدقة في المنظر امامها.
«قالت لي كارمين انك في تحسن كبير. لكن اذا كنت لا ترغبين بالكلام اعود بعد قليل.»
تنفست ليندا الصعداء وقالت:

«بامكانك البقاء، اذا شئت. اجلس من فضلك.»
جلس ماريو على طرف النافذة في مواجهة ليندا.
توترت ورفضت ان تنظر اليه ولم ترفع نظرها الى اعلى من عنقه. ضغطت على معصميها غارزة اظافرها في يدها.
«لا شك انك شعرت بصدمة كي تفقدي وعيك هكذا... لم تصب الطفلة بأي اذى، اليس كذلك؟»
وفي ذعر، ادركت انها اهتمت بمصير ماريو اكثر من ويندي، في حال الخطر هذه. ارتجفت، فأسرع ماريو الى القول:
«يبدو انك ستصابين ببرد! هذا الروب خفيف! اتريدين شالا سميكا اضعه عليك؟»
كتفت يديها فوق صدرها وقالت:
«كلا، شكرا. لا شيء سوى اني اتذكر ما حدث اليوم... اخافني الحيوان بضخامته.»
«لست وحدك من فكر هكذا.»
«انت تعرف، اليس كذلك؟ لماذا تخفي علي...»
اقترب منها بسرعة وسألها:
«ماذا تعنين بالضبط، يا حبيبتي؟ ماذا بإمكاني ان اعرف؟»
«انت تعرف... اني احبك.»
ساعدها ماريو على النهوض وجذبها نحوه

وقال:«ليندا، أليس هناك شيء آخر يجب عليّ ان اعرفه؟»
ارخت رأسها على كتفه وراحت تسمع دقات قلبه بوضوح، انه واثق من نفسه، راح ينتظر جوابها.
لقد افصحت له عن حبها لكنه لم يكتف بذلك... يريد منها خضوعا كاملا! رفعت ليندا ذقنها وصرخت قائلة:
«بطريقة او بأخرى، عرفت اني كذبت عليك. ويندي ليست ابنتي، بل شقيقتي. اردت ان اصيب غرورك فاستعملت هذه الخدعة... اني آسفة...»
«ايتها الماكرة الصغيرة، انت حقا آسفة.»
انحنى فوقها وغمس نظرته اللماعة في عينيها وقال:
«آه، يا حبيبتي، لقد عاقبتني... تعذبت كثيراً. لكن كيف باستطاعتي الا ان اسامحك، يا حياتي؟... لا يمكنني ان اعيش من دونك.»
عانقا بعضهما بعطف ولم تصدق مدى سعادتها.
همس ماريو في اذنها بحب:
«اني احبك. كنت كالمجنونة منذ ليلة امس، وخوفا من ان اضعف امامك، كما حدث لي في فينا ديل مار، امتطيت جوادي ورحت اهيم في الصحراء.»

www.rewity.com

الدموع تنهمر من عيني ليندا وهو يعانقها بشغف وحنان. ثم قال:

«هل تسامحينني لأني جعلتك تستسلمين لي بالقوة؟ لقد تصرفت بسوء. انت التي كنت عذراء...»

اذن، اكتشف سرها منذ ذلك اليوم. لامت سذاجتها لانها اعتقدت ان عدم خبرتها بالامر ستمر من دون ان ينتبه لها. تعلقت ليندا بعنقه لتقنع نفسها انها لا تعيش حلما بل حقيقة، ثم خبأت وجهها في كتفه.

«اذن لماذا ارغمتني على مصارحتك، ما دمت تعرف ذلك؟»

ما زال هناك سؤال يحيرها فتحلت بالشجاعة وسألته بخجل:

«كنت صريحة معك وارجو ان تكون صريحاً معي. ما هي نواياك تجاه كابريللا؟ هل ما زلت تراها؟»

ابتعد عنها بلطف واستغرب قائلاً:

«كابريللا؟ في حياتي تعرفت الى كثيرات مثلها. لكنهن كن عابرات، كظلال في الليل.انت وحدك، يا حياتي، عرفت ان تحتفظي بي، والى الابد.»

تأثرت ليندا بكلامه وظلت صامتة. ثم ارادت ان تمازحه فقالت:

«هل كان يزعجك حقاً لو كانت ويندي... ابنتي؟»

«طبعا، كنت اموت غيظا.»

وراحا يعانقان بعضهما البعض. وبعد مرور ساعة، كانا واقفين امام باب الشرفة ينظران الى القمر الذي كان يضيء منزل آل فالديفيا. اطلقت ليندا زفرة ارتياح فقال ماريو:

«اذا كنت ترغبين ان اكف عن عناقك، فسأفعل. في استطاعتي ان اعيل عائلتي الصغيرة، حتى ولو اضطررت الى البدء من الصفر.»

ابتعدت ليندا قليلا ثم همست:

«ويندي... هل تقبل ان تكون جزءاً من هذه العائلة؟»

«احب هذه الطفلة الجميلة حباً كبيراً وسأظل احبها مثل اولادي. لكن لم تردي على سؤالي، يا حبيبتي؟ هل تريدين ان ابرهن لك عن حبي؟ سوف اذهب لرؤية جدي واقول له اني اتخلى عن جميع حقوقي في المزرعة.»

قالت له بلطف:

«كلا. لنفكر في جدك ايضاً... فهذا القرار سيحطم قلبه. ومن جهة ثانية...»

توقفت عن الكلام لأن ماريو وضع يده على جهة القلب واحس بقلبها الذي كان يخفق بسرعة هائلة. لكنها اكملت جملتها:

WWW.REWITY.COM

«... النسر بحاجة الى مساحة كبيرة ليبسط جناحيه في تحليق قوي. سنبني حياتنا في هذا الوادي، وادي فردوسنا السعيد.»

تمت

WWW.REWITY.COM
مـــر مـــوريـــة